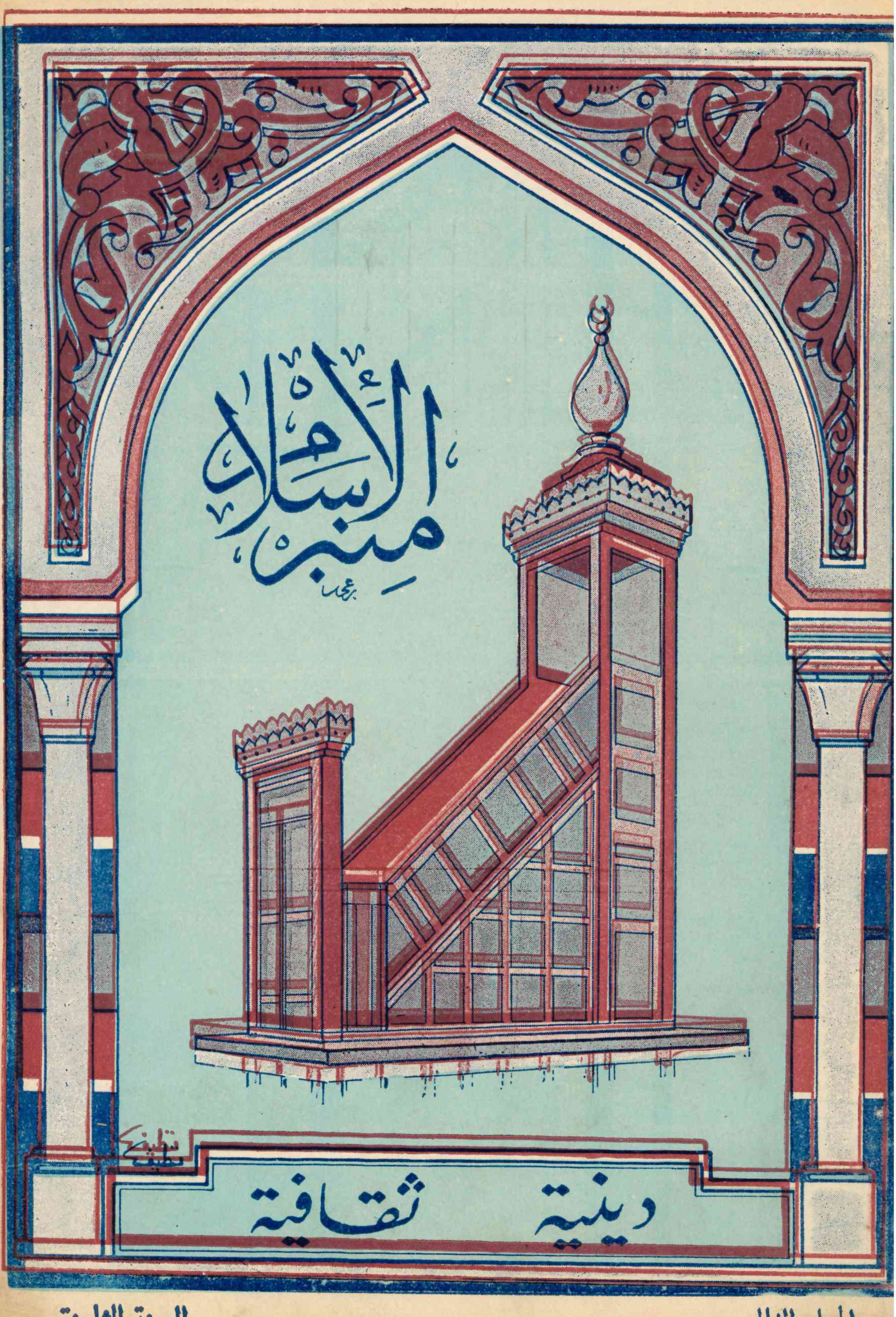

المجلد الثالث
السنة الثامنة

منبر الإسلام
مجلة المساجد
دينية ثقافية

يصدرها قسم المساجد بوزارة الأوقاف

المدير ورئيس التحرير
عبد الله المراغى
مدير قسم المساجد
الادارة : قسم المساجد
بوزارة الاوقاف
تليفون : ٨٥٣٩٤

الاشتراكات لمدة سنة
مليما
داخل القطر ٣٦٠
خارج القطر ٤٨٠

المجلد الثالث	جمادى الاولى سنة ١٣٧٠ هـ	جمادى الآخرة سنة ١٣٧٠ هـ	السنة الثامنة

الفهرس

صفحة

ذكرى مولد الرسول صلى الله عليه وسلم مدى مايفيده المسلمون منها — لحضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ سيد زهران مراقب عام الشئون الدينية ...

خطاب حضرة صاحب المقام الرفيع رئيس مجلس الوزراء فى الاحتفال بذكرى المولد ١

السيرة النبوية الشريفة — لحضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الجليل الشيخ سيد زهران مراقب عام الشئون الدينية ١٠

هداية القرآن :

القذف وأثره فى المجتمع — لحضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ عبد الله المراغى مدير المساجد ١٥

هدى الرسول :

المحرومون — لحضرة صاحب الفضيلة الشيخ جاد المولى سليمان ١٩

الآداب الاسلامية :

قناعة سعيدة — لحضرة صاحب الفضيلة الشيخ كامل محمد أبى العينين ٢٣

الدعوة الاسلامية :

الاسلام فى الحبشة — لحضرة صاحب الفضيلة الشيخ ابراهيم على أبى الخشب ٢٨

أمراض المجتمع :

صفحة

حرم الاسراف على المؤمنين — لحضرة الاستاذ عبد الفتاح سالم ٣١

طرائف :

طرائف من الآدب العباسى — لحضرة الأديب الأستاذ عبد العظيم بدوى ... ٣٧

التاريخ الاسلامى :

سياسة الرسول فى إجلاء اليهود عن المدينة . — لحضرة صاحب الفضيلة الشيخ حسن جاد ٤٢

أعلام الاسلام :

الامام الحسين رضى الله عنه — لحضرة الأستاذ السيد محمد عرفة وكيل المسجد الحسينى ٤٨

المحاضرات :

تحية مصر لعاهل الجزيرة العربية — لحضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الجليل الشيخ سيد زهران مراقب عام الشئون الدينية ... ٥٤

خطر المماطلة فى أداء الحقوق على المجتمع — لحضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ عبد الله المراغى مدير المساجد ٥٩

المنبر العام :

محمد ﷺ فى نظر المستشرقين — لفضيلة الاستاذ الشيخ رضوان رجب البيلى ... ٦٣

رسول الله (قصيدة) — لحضرة الأديب الأستاذ مرسى شاكر الطنطاوى ٦٧

الديموقراطية فى الإسلام — لحضرة الأستاذ الدكتور حسن عون ٦٩

حظ القانون المدنى من الشريعة الاسلامية — للأديب م . ا . ج ٧٧

التقاويم المصرية والشريعة — لفضيلة الشيخ احمد جابر ٨٥

الخطابة :

المسجد موطن الهدى والعرفان — لحضرة صاحب الفضيلة الشيخ جاد المولى سليمان ٩٣

ذكرى مولد الرسول ﷺ

مدى ما يفيده المسلمون منها

بسم الله الرحمن الرحيم

كان الاحتفال بذكرى المولد النبوى الكريم فى هذا العام بالغاً من الروعة والجلال، ما يليق بذكرى صاحب الرسالة العامة الخالدة محمد بن عبد الله ﷺ، فقد تضافرت الجهود على العناية بهذه الذكرى فى صورة ناطقة بعظمة هذا الرسول، وعظمة رسالته ومبادئه، فما هو سر هذه العناية الفائقة؟ وما هو الحافز إليها؟ وما هى العوامل التى أرهفت الأحاسيس إلى هذه الحفاوة البالغة.

لاشك أن تطور الوعى الإسلامى والعالمى، جعل الناس جميعا يشعرون أن هذا الرسول العظيم جدير بالتكريم تكريما ذاتيا وتكريما معنوياً.

أما التكريم الذاتى فمظهره الحفاوة بذكرى ميلاد هذا الرسول الكريم. وأما التكريم المعنوى فمظهره العمل بمبادئه وتعاليمه، وقد قامت مصر بنصيب موفور من التكريم الذاتى فأمر حضرة صاحب الجلالة مولانا الملك المعظم باطعام الفقراء والمساكين فى ساحة الاحتفال بالمولد النبوى الشريف. وأقامت خاصة جلالته حفلة بقصر عابدين العامر تليت فيها آى الذكر الحكيم والقصة النبوية العاطرة، وتفضل جلالته فأناب عنه حضرة صاحب المقام الرفيع رئيس مجلس الوزراء فى حضور الاحتفال المعتاد بساحة المولد بالعباسية قبل ظهر يوم الخميس ١١ من ربيع الأول سنة ١٣٧٠ هـ.

وأقام رفعة رئيس الحكومة حفلة كبرى بقصر الزعفران بعد ظهر يوم الجمعة ١٢ من ربيع الأول سنة ١٣٧٠ حضرها عشرات المئات من سكان الوادى على اختلاف أجناسهم وأديانهم ومذاهبهم وألقى مقامه الرفيع خطبة ضافية يراها القراء فى غير هذا المكان ووزعت الحكومة خمسة آلاف من الجنيهات على المعوزين والمحتاجين. ولم يكتف رفعة الرئيس بحفلة قصر الزعفران بل أقام حفلة شعبية دينية كبرى بمسجد الامام الحسين رضى الله عنه بعد عشاء يوم الجمعة المذكور حضرتها الجماهير الغفيرة وأذيعت فيها آى الذكر الحكيم وساهمت وزارة الأوقاف فى الحفاوة بهذه الذكرى فأقامت يوم الخميس فى كل مسجد جامع حفلة تليت فيها القصة النبوية الشريفة وجعلت موضوع خطبة الجمعة يومئذ (وإنك لعلى خلق عظيم).

وفتحت وزارة الشئون الإجتماعية مطاعم الشعب لإطعام الفقراء بالمجان يوم الذكرى ونظمت دار الإذاعة اللاسلكية المصرية « الأسبوع المحمدى » هذا العام تنظيما فاق نظيره فى الأعوام السابقة ، فافتتحته بحفلة دينية بالمسجد الزينبى فجر يوم السبت ٦ من ربيع الأول واختتمته بحفلتين أقيمتا بالمسجد الحسينى إحداهما فجر يوم الجمعة ١٢ منه والأخرى فى مسائه

واهتمت الصحافة الكبرى بهذه الذكرى فنشرت جريدة المصرى بعدد يوم الجمعة ١٢ من ربيع الأول مقالات قيمة لبعض كبار العلماء تشيد بأخلاق الرسول ومبادئه وتابعت جريدة الأهرام طوال « الأسبوع المحمدى » نشر كلمات عن صاحب الذكرى وأقامت الجماعات الإسلامية فى طول البلاد وعرضها حفلات رائعة بهذه المناسبة الكريمة.

ومن نافلة القول أن تتعرض بعض الأقلام باسم السنة والبدعة لنقد الحفاوة بذكرى ميلاد الرسول فقد ثبت أنه ﷺ كان يصوم يوم ميلاده شكراً لله وتمجيداً ، وما الحفلات التى تقيمها الهيئات والجماعات والأفراد إلا ساحات للبر ومؤتمرات يتذاكر الناس فيها مبادئ صاحب الذكرى وتعاليمه ، فإذا كان فى هذه الحفلات دخل ، فمن الواجب التضافر على حظره عملا بأحكام الدين وذلك سبيل التكريم المعنوى .

ولو أننا استطعنا فى كل عام أن نعلن يوم الذكرى إحياء حكم من أحكام الإسلام التى طال الأمد على إهمالها لاستطعنا فى بضعة أعوام أن نوطد قواعد هذا الدين ، ونشيد عليها صرحه المتين .

وإن الحكومة التى تستطيع أن تغلق محال بيع الخمور يوم الذكرى تستطيع أن تغلقها شهراً ودهراً لتقى الأمة شرور هذه السموم ومآثمها .

وإن الحكومة التى استطاعت وزارة من وزاراتها وهى — وزارة الأوقاف — أن تيسر على كثير من المعسرين بمؤسسات القرض الحسن فأنقذتهم بذلك من براثن المرابين تستطيع أن تكثر من هذه المؤسسات لتصون الأمة من لوثة الربا وأصاره ونتائجه وآثاره . وتستطيع تحريم الميسر بشتى أنواعه وتحريم غيره من المنكرات وهكذا نستطيع أن نعلن بحق أن دين الدولة الاسلام وأن مصر زعيمة البلاد الإسلامية . وأساس هذا الاصلاح تشريع يتفق وتعاليم القرآن .

وحتى تحل الذكرى القادمة نرجو أن تتكاتف الجهود فى هذا السبيل حقق الله الآمال؟

سيد زهران

مراقب عام الشئون الدينية بوزارة الأوقاف

خطاب

حضرة صاحب المقام الرفيع مصطفى النحاس باشا

رئيس مجلس الوزراء

فى الاحتفال بذكرى مولد الرسول

كان الاحتفال الذى أقامه رفعة مصطفي النحاس باشا رئيس الوزراء بالمولد النبوي الشريف فى قصر الزعفران يوم الجمعة ١٢ من ربيع الأول سنة ١٣٧٠ (٢٢ / ١٢/ ١٩٥٠) بالغا منتهى الروعة والفخامة وبدت الأنوار الساطعة الملونة تتألق فى شجيرات حديقة القصر فكان منظرها ساحرا خلابا مما زاد فى بهجة الاحتفال ورونقه وقبيل الموعد المحدد أخذ المدعوون من شتى الهيئات ومختلف الطبقات يفدون الى قصر الزعفران للاشتراك فى عيد مولد الرسول الامين وكان كبار الموظفين فى دار الرياسة يستقبلون الوافدين ويرحبون بهم وقد اكتظت صالات القصر وحجراته بالمدعوين كما اختلفوا الى موائد الشاى والحلوى .

وعند وصول رفعة الرئيس الى قصر الزعفران استقبل استقبالا حماسيا رائعا وكان الهتاف بحياة جلالة الملك يشق اجواز الفضاء وقد أخذ رفعته يرحب بالحاضرين ويصافحهم .

ثم وقف رفعته فى الحجرة الكبرى وقد حف برفعته اصحاب المعالى الوزراء ورئيس الشيوخ وكبار الشخصيات والقى كلمته الرائعة فى ذكري مولد النبي صلي الله عليه وسلم بين هتافات مدوية بحياة المليك المحبوب ورفعة الرئيس الجليل .

وننشر فيما يلى خطاب رفعته الذى القاه فى هذا الاحتفال .

أيها السادة :

هذه ذكرى عاطرة ، نستقبلها فى كل عام ، ونستعرض فيها طرفا من سيرة سيد الانام ، ونستحضر كل ما جاء به الاسلام ، من نفع وخير ، وما دفعه عن البشرية من أذى وشر ، ونذكر تاريخ محمد نبى العدل والإحسان ، ورسول العقيدة والايمان ، عليه افضل الصلاة وأطيب التحية والسلام .

يوم بزوغ شمس الهداية :

واذا كانت سنة الناس ان يحتفلوا بعظيم انقذ شعبه ، او عالم ارشد قومه ، او مصلح خدم مواطنيه ، وفاء بحق العظماء والعلماء والمصلحين على شعوبهم ، وتذكيراً للحاضرين بأعمالهم ، فما أجدر الدنيا بأسرها ان تحتفل بهذا اليوم الذى بزغت فيه شمس الهداية فكشفت عنها ظلماتها ، وأضاءت جميع ارجائها ، وخلقت الانسانية خلقا جديداً ، ووضعت لها نظاما فى الحياة فريدا .

نشأ فقيرا يتيما :

لقد كان فى مولد محمد ﷺ أكبر الآيات ، وفى نشأته أعظم العبر والعظات . ولد يتيما فقيرا لم تحدث ولادته اثراً ، ولم يشعر بخطره احد ، ومن عادة اليتامى ان يسود فيهم الضعف والهوان وان يشبوا بمعزل عن العلم والعرفان ، لا ينهون أهلهم عن ضلالة ، ولا ينقذونهم من جهالة ، ولا يسيرون بهم الى طريق حق او صراط مستقيم ، ولكن هذا اليتيم — الذى احتضنته مكة الوثنية وهى تعج بأصنامها منصوبة فى الطرق والمسالك ، وفى الاندية والمنازل ، وتطل من فوق الكعبة فيخر لها العرب ساجدين ، وتذل اعناقهم لها خاضعين — هذا اليتيم قد خالف قومه الى عيشة أطهر وأكرم ، ومنزلة اسمى وأرفع ، ففى تلك البيئة التى لم يتحرك فيها بذكر الله لسان ، ولم يضطرب بخشيته جنان ، نشأ محمد بعيداً عنها شعوراً وروحا ، مخالفا لها ادبا وخلقا ، ينكر فى اعماق نفسه دياناتها ، ويتجنب عبثها وغواياتها ، فهو كثيرا ما يفر من مساكنهم ، ويهرب من انديتهم وملاعبهم يتسلق جبلا شامخا ، يقضى فيه وقتا طويلا سابحا بفكره متذكرا ، وخاشعا متعبداً ، مصغياً إلى أصوات تهمس فى نفسه بأن الإله الحق الذى ينبغى أن يمجد ويعبد ، وتخضع له الجباه وتسجد ، قد ضلت عنه قريش ضلالا بعيدا ، وانصرفت دونه كثيرا . . . كان يسبح بعقله وفكره فى خلق الله ، فكانت الجبال بارتفاعها ، والسماء بصفائها ، والنجوم ببهائها ، تناديه نداء جليا : ان الحقيقة وراء هذه

الأصنام، وخلف تلك الترهات والأوهام، فاذا اكتملت فيه تلك الرياضة، وعاد متفتح القلب، لاشعة فيها وميض ساطع، ونور باهر، تبدو على وجهه سيماؤه، ويبرق فى عينيه لألاؤه، حتى ارتفع الحجاب، وبرح الخفاء: وانكشف الغطاء، وحان وقت رسالته فاذا به يسمع الوحى يناديه «اقرأ باسم ربك الذى خلق، خلق الإنسان من علق، إقرأ وربك الأكرم، الذى علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم». ولقد ذعر فى أول أمره، من ذلك الصوت يرن فى اذنيه قوياً، ويتتابع بأمر الله ظاهراً عليا، حتى حدث بما لقى وهو مأخوذ مبهور، وخائف مذعور، فقالت زوجه خديجة (كلا لن يخزيك الله أبدا، انك تصل الرحم، وتحمل الكل، وتعين على نوائب الحق). إذ أدركت بفطرتها السليمة ما سيكون لزوجها من شأن عظيم، وان ما يسمعه جدير ان يملأ نفسه طمأنينة وأمناً، بل سروراً وبشراً، ولقد عبرت بهذا القول عن معنى كبير، ورمت إلى مغزى خطير، ذلك ان الخير لا يلد إلا خيراً، وان اعظم وجوه الخير ما يقدمه الانسان من عون للمحتاجين، واغاثة للملهوفين، وتلك لعمر الحق أكبر وسيلة تصل العبد بربه، وتقربه من خالقه، ومن اتصل بالله حماه، وجنبه السوء ووقاه.

... ثم أصبح الفقير نبياً:

واطمأن محمد ﷺ فراح يتلقى الوحى قويا، ويتقبل الرسالة رضيا، وأصبح ذلك اليتيم الفقير نبياً ورسولا، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجا منيرا، وصاح فى الناس ينبه الغافلين، ويوقظ النائمين، واهاب بهم ان ينظروا فى انفسهم، ويتفكروا فى عاقبة أمرهم، وكان ذلك بدعا من الحوادث عند قوم انغمسوا فى الوثنية، وامتزجت بدمائهم حمية الجاهلية، فما قرعت آذانهم دعوته، حتى هبوا جميعا يناصبونه العداء ليصدوه عن سبيل الله، ويصرفوه عما انزل عليه من آيات الهداية والفرقان، ولاقى فى سبيل ذلك من الشدائد والأهوال، اقصى ما يلاقيه المصلحون، واحتمل فى صبر ورضا ما آذاه به المتعنتون فلم يخرجه عن حلمه

اضطهادهم ، ولم يقل من وقاره وصبره ايذاؤهم ، بل كان يبتسم للخطوب بسمة الواثق بنصر الله ، المؤمن بقضاء الله ، ويتلقى الصعاب التى تعترض طريقه الشائك المحفوف بالمخاطر ، بعزمة المؤمن الصابر ، ويتقى الأذى والاضرار ، بقوة منحها إياه العزيز القهار . ولم تكن نفسه التى هيأها خالقها لتسع الخافقين وتطل على المشرقين لتهون دون ما أرادت ، او تنثنى عما اعتزمت ، فقد أيدها الله بروح الحق ، وخلقها لتوجه الناس جميعا إلى الكمال ، وتنقلهم من حال إلى حال .

ميزان الحياة العمل الصالح :

وكان للناس عجبا أن انفرد محمد الذى نشأ بين الضلالات بحياة هى أروع مثال لكمال خلق وسمو إنسانى ، تستمد الدنيا بأسرها منه رشدا ، وتستلهم العزائم قوة وجلدا ، ولأول مرة ، وعلى فترة من الرسل ، رأى العالم قبسا من نور الحكمة يكشف الحجب المسدولة على أعينهم ، والأغشية المضروبة على قلوبهم ، ويمهد لهم سبيل النجاة من ظلمات الجاهلية وحياة الهوان والصغار ولم يختص محمد صلوات الله وسلامه عليه بهذا الخير أمة دون أمة ، ولا جاء ليعلم قوما ويترك آخرين ، ولكن جاء بعقائد وأعمال عمادها الحق ، وقوتها البرهان ، وجندها الفضيلة وكل الأرض بعد ذلك دارها ، وجميع الناس أنصارها ، شعارها الأخوة الانسانية ، وخلاصتها « ليس منا من دعا إلى عصبية » ، وهى الذروة العليا للبر والاحسان ، والرحمة والحنان ، فلكل ناحية من نواحى الاجتماع حظها ولكل نفس مخلوقة نصيبها ، فلا يختص بفضله جماعة مهما عظمت ، ولا يستأثر بخيره قبيلة وان ارتفعت ؛ ولم يكن فى شرعته أحد يعتلى على أحد ، حتى الدوحة النبوية الكريمة التى كانت عند العرب أطيب اعراقا ، وأكرم أصولا ، جعلها مع الناس جميعا فى منزلة سواء ، ومحا من نفوسها الاثرة والاعتلاء ، وبدأ بأقرب المقربين اليه فقال « يا فاطم بنت محمد لا أغنى عنك من الله شيئا ، يا عباس عم محمد لا أغنى عنك من الله شيئا ، لا يأتينى الناس بأعمالهم ، وتأتونى بأحسابكم » فميزان الحياة عنده

العمل الصالح وأساسها الفضيلة ومكارم الأخلاق ، أما المفاخرة بالمال والجاه والسلطان فليس لها فى الاسلام من خلاق .

أنصف الفقراء وأعطاهم حقهم :

ولقد أنصف الفقراء وأعطاهم قسطهم من متع الحياة ، وجعل لهم حقا مقضيا من مال الأغنياء ، ووضع لذلك نظاما ينهض بالمستوى البشرى ويرفه عن البائسين ويمتع المعوزين ، وزاد فى ذلك فجعل الربح قسمة بين العامل وصاحب العمل ، بل سوى بين السيد ومملوكه فى الرزق ، وتوعد السيد الذى لا يتبع نهجه ، ولا يسلك سبيله :

« والله فضل بعضكم على بعض فى الرزق فما الذين فضلوا برادى رزقهم على ما ملكت ايمانهم فهم فيه سواء افبنعمة الله يجحدون » .

كان معوانا للحرية والسلام :

أيها السادة :

هذه مبادىء مما جاء به الإسلام ، استظلت الدنيا بظلالها الوارف الظليل ، فكانت هدى ورحمة للناس أجمعين ، وسار على نهجها المسلمون الأولون ، فكانوا سادة العالم المتحكمين ، فلما أن انحرف من خلفهم عنها ، وشغلتهم الدنيا عن سلوك سبيلها ، هانوا واضمحلوا وصاروا فى الأذلين ، وخليق بذكرى مولد محمد ﷺ الذى كان مطلع ذلك النور الساطع ، والذى يتخذه المسلمون عيدا على تعاقب السنين ، أن يذكر الغافل ، وأن يوقظ النائم وأن ترجع فيه النفوس الآبقة إلى ربها تلتمس مغفرته ، وتطلب عفوه ومعونته ، وأن تصح عزيمة قواد المسلمين ورؤسائهم على أن يجمعوا شمل الإسلام الشتيت ويربطوا بين المسلمين فى مناحى المعمورة برباط وثيق . انهم ان فعلوا كانوا جديرين بالانتساب إلى نبى الإنسانية كلها محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ، بل كانوا معوانا على دعم قواعد

الحرية والامن والسلام . وإذا كانت هـــذه الذكرى العاطرة تمر بنا دون أن نستغلها فى العمل النـــافع ، والجهد الصالح لخير الأوطان ، والاستمساك بالحق والإصرار عليه — نكون قد نأينا بجانبنا عن سبيل الله ، وبعدنا عن رحاب رسول الله . وحاش لقلوب عامرة بالايمان واليقين ، مملوءة بحب سيد المرسلين ، أن تفتر أو تضعف ، أو تنوء بحمل العبء وان ناءت به شم الجبال .

سيدى رسول الله :

هذه ذكرى مولدك الشريف نحييها والعالم مضطرب ، والنفوس هالعة مما يخبئه لها الغيب المكنون ، فلا يثنينا ذلك عن أن نستروح فى وسط هذا الهلع وهذا الاضطراب من ذكراك أمنا وسكينة ، ورضا وطمأنينة ، تعمر قلوبنا ، وتملأ أفئدتنا . ثم نتخيلك وليدا يتيما فقيرا ، لم تتولك عناية الأب الحدب ، ولكن تولتك رعاية الله القدير ، ولم يربك معلم ولكن رباك اللطيف الخبير ، فاذا بك أيها اليتيم الأمى ، تصبح الملهم الربانى ، وتعلم الإنسانية أن العظمة ليست فى المال الكثير ، ولا فى الغنى الوفير ، ولا فى السيادة والرياسة ، ولكنها فى العمل لخير الناس ، والتضحية للفرد والجماعة ، والفناء فى سبيل غاية سامية تبقى على الزمن ، وتدوم على الأيام ، وأن الذى يهب نفسه لهدف رفيع ، وغرض نبيل ، لا يخلق به أن يعرف الضعف أو الهوان ، ولا أن يستكين لعقبات تعترضه ، أو صعاب يلقاها ، بل يمضى فى طريقه ، سلاحه الحق ، وقوله الصدق ، وعمله الاخلاص ، وشعاره إما البقاء مرفوع الهامة موفور الكرامة ، وإما الفناء فى الميدان شجاعا لا يتهيب ، مقداما لا يتردد . . أجل علمتنا يا رسول الله قولا وعملا أنه ما أضر بالمجاهدين ، ولا أساء إلى المصلحين ، إلا الوقوف فى منتصف الطريق . وان الجهاد الناجح ، والاصلاح النافع ، لن يكونا إلا بالثبات والصبر والمثابرة وهاهو ذا مثلك الأعلى ماثلا أمامنا ، فلولا قوة يقينك ، وشدة مراسك ، وطول صبرك واحتمالك لما نجحت دعوتك ، ولا انتشرت فى الافاق رسالتك ، ولكنك فى طريقك مضيت ،

وعلى ربك اعتمدت ، فأيدك بجنده وأرضاك بنصره ، وحفك بعنايته ، وحاطك برعايته فهل نستطيع نحن — اتباع شريعتك — أن نسير على سننك وأن نقتبس شعاعا من قوتك وشجاعتك ، يحفزنا إلى أن نظل صامدين ، وفى طريق الجهاد سائرين ، وعلى نيل حقوقنا كاملة مصممين ، وحسبنا بعد ذلك رضا الله ورضاك ياسيد المرسلين . . . اللهم أنت علام الغيوب ، المطلع على خفايا القلوب ، اللهم فامنحنا منك توفيقا يوصلنا إلى النجاح ، وألهمنا أن نتبع هدى نبيك ، فمن اتبعه فقد نال العزة والفلاح .

سيدى أبا الزهراء :

أرانى كلما هممت بالمناجاة ، صغرت أمامى قيمة الحياة ، واستهنت بما يحفل به الناس من عز وجاه ، وتصورتك أمامى — يا أبا الزهراء — تقبل عليك الدنيا فتدبر عنها ، وتخطب ودك مفاتن الحياة ومباهجها فتفر منها ، ثم ارتسمك جليلا فى تواضعك مهيبا فى لينك ورقتك ، متسامحا شديد التسامح فى حق شخصك ، قويا شديد القوة فى حق دينك وربك ، تلين حتى تكون أرق من الهواء ، واصفى من الماء ، وتشتد حتى تكون قوى المراس شديد الباساء ، عادلا فى الرضا ، عادلا فى الغضب ، لا يميل بك الرضا الى جانب من تحب ، ولا يخرج بك الغضب الى ناحية من تبغض ، ولكن رضاك بميزان ، وغضبك لا لنفسك بل للواحد الديان .

ومن ذا الذى يذكر غضبتك القوية ، وقولتك المدوية لاسامة حين جاءك يستشفعك فى أن تعفوَ عن سارق شريف « أتشفع فى حد من حدود الله انما اهلك من كان قبلكم انهم كانوا إذا سرق الشريف تركوه ، وإذا سرق الضعيف عاقبوه والله لو ان فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها » ومن ذا الذى يذكر هذا ثم لا تهز نفسه ، ولا تخلب لبه تلك العظمة السماوية ، والتربية الربانية .

أى سمو فى العدل يبلغ هذا السمو ، وأى حزم يتطلع الى هذا الحد ، انه سموك وحدك ، وعدلك وحزمك وحدك ، فانت محمد بن عبد الله ، اليتيم الفقير

الامى معلم الانسانية فحسب ، وانت صنع الله القوى القدير وكفى .

وما حفزنى الى الاجتراء على هذه الساحة ، انشد الى جوارها السكينة والراحة ، الا أنها فسيحة الرحاب ، مفتحة الأبواب ، تتسع للضالين والمهتدين ، وتقيل عثار المقصرين والمخطئين .

وها نحن يا أكرم الخلق على ربك نتطلع اليك ، ونقبل عليك ، وليس لنا من زاد الا توحيد الله ، والخوف من الله ، والاعتماد على الله ، ثم حبك الذى تنطوى عليه حنايانا ، وتنبض به قلوبنا وافئدتنا ، وفى يقيننا ان هذا شفيعنا فى أن تجاوزنا الحد ، واجترأنا عليك يا سيدى يا محمد .

سيدى رسول الله :

إنك لم تمض الى الرفيق الاعلى ، إلا بعد أن تركت لنا ثروة من الأخلاق والدين لا تفنى ، وأسست شريعتك على دعائم قوية لا تبلى ، ولكن الحال تبدلت ، والدنيا تغيرت ، فأصبحنا نرى المسلمين الذين دانت لهم الدنيا وملكوا أكثر بقاع الارض ، فى مؤخرة الصفوف بل فى ذيول الأمم ، فبعد أن كانت ديارهم حرة مستقلة وشعوبهم غازية فاتحة ، عادوا مستذلين محكومين ، لا بالحرية يتمتعون ، ولا بالاستقلال يشعرون ولعل مرجع ذلك كله الى أنهم بعدوا عن مبادئك الخالدة وتعاليمك القوية الباقية ، وغرتهم الحياة الدنيا وغرهم بالله الغرور .. فهل تدعو ربك — ودعاؤك عنده لا شك موضع القبول — أن يمكن للمسلمين من دينهم ، وأن يمنحهم الأمن والسكينة فى بلادهم وان يرزقهم التوفيق حتى تعود اليهم مكانتهم ، وتطمئن حياتهم وأن يلهم علماءهم وقادتهم السداد ، فيسيروا بهم الى الطريق القويم ، ولا يتنكبوا الصراط المستقيم ، وان يتجردوا عن الأغراض والشهوات ، وأن يذكروا أن للكون إلها هو وحده الضار النافع ، الخافض الرافع ، يعز من يشاء ويذل من يشاء وهو على كل شىء قدير .

كن شفيعنا عند ربك يارسول الله فى امور دنيانا ، كما انت شفيعنا يوم العرض عليه ، والوقوف بين يديه ، « يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى الله

بقلب سليم » — فى ان يكشف عنا الكرب فقد اشتد ، والا يؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا ، والا يتخلى عنا فى شدتنا فما نسيناه فى رخائنا ، وان يهىء لنا من أمرنا رشدا ، والا يضيع جهادنا سدى . والصلاة والسلام عليك ما سبح مسبح ، ورتل مرتل ، ونطق لسان ، واهتز جنان .

أيها السادة :

هذه بعض ذكريات المولد النبوى الكريم على صاحبه أفضل الصلاة والتسليم ، سقناها اليكم عسى أن ننتفع بها فى أقوالنا وأعمالنا ، وانى لانتهز فرصة هذا العيد الاسلامى الشامل فارسل التحية على أمواج الاثير الى جميع المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها والى كل من استظل بظل الاسلام واحتمى بحماه ، وانتفع بتعاليمه الخالدة على الايام ، واضرع الى الله فى هذه الوقفة الخالصة أن يجعل عيد ذكرى مولد نبي الانسانية كلها ، مطلع خير وبركة على بنى الانسانية أجمعين وان يجنبهم الاهوال والويلات . ويلطف بهم فيما جرت به المقادير ، وأن يهب القوامين على سياسة العالم عقولا حصيفة تفكر فى العواقب ، وتعمل على اقرار العدالة والانصاف بين الشعوب ضعيفها وقويها على السواء .

أما بلادنا العزيزة ، وجيراننا من ابناء العروبة الأكرمين ، فرجاؤنا فى الله كبير أن ينيل الوادى العزيز آماله واهدافه فى الحرية والاستقلال والسير فى ركاب الحضارة شعبا له مكانته تحت تاج عاهله وراعيه العظيم « فاروق الاول ، قوى الله به شوكة الاسلام ، وأعز بملكه الوادى وأهله أجمعين ، وجعل السعادة والعزة والمنعة للعروبة وابنائها ، والامن والطمأنينة للشهيدة فلسطين وأهلها ، وبصر من بأيديهم حل مشكلاتها الى الوصول الى نتائج ترضى الانسانية ، وتحفظ الكرامة لذلك الوطن المقدس وتبعد عنه الاذى والاضرار .

والسلام عليكم ورحمة الله

السيرة النبوية الشريفة

الكلمة القيمة التى ألقاها حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الكبير الشيخ سيد زهران مراقب عام الشئون الدينية بوزارة الاوقاف بسرادق الاحتفال بالمولد النبوى الشريف فى ساحة المولد بالعباسية يوم الخميس ١١ من ربيع الاول سنة ١٣٧٠ . بين يدى حضرة صاحب المقام الرفيع رئيس مجلس الوزراء نائب حضرة صاحب الجلالة مولانا الملك فى هذا الاحتفال .

بسم الله الرحمن الرحيم

نحمدك اللهم جلت حكمتك ، وعظمت نعمتك ، بعثت فى الاميين رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ، وارسلته للناس أجمعين وجعلته رحمة للعالمين ونصلى ونسلم على هذا النبى الكريم سيدنا محمد أفضل رسلك وخيرتك من خلقك وعلى آله وصحبه المتقين الأبرار السادة الأخيار .

وبعد — فقد درج المسلمون فى الاقطار والامصار على الاحتفال بذكرى المولد النبوى الشريف تمجيدا للمعانى السامية التى حققها خاتم النبيين ، وسيد المرسلين وأعظم المصلحين الذى جمله الله بشرف النسب وكرم الحسب . وأرسله شاهدا ومبشرا ونذيرا ، وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا ، فانار البصائر وطهر السرائر وأيقظ الضمائر . فأما شرف نسبه ﷺ فذلك أنه من آل اسماعيل بن ابراهيم الذين اصطفاهم الله على العالمين ، بل هو الصفوة الطاهرة من تلك الدوحة المباركة فقد اصطفى الله كنانة من ولد اسماعيل واصطفى قريشا من كنانة واصطفى من قريش بنى هاشم واصطفى محمدا من بنى هاشم فهو خيار من خيار .

نسب تحسب العلا بحلاه قلدتها نجومها الجوزاء
حبذا عقد سؤدد وفخار أنت فيه اليتيمة العصماء

فهو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصى .

فأما قصى فقد انتهت اليه زعامة قريش وقيادتها ورياستها وسيادتها ، وهو الذى الف بين عشائرها المتنافرة وبطونها المتناحرة .

وأما عبد مناف فقد كانت له الوفادة والرفادة فكانت الوفود تنزل فى ضيافته وكان الحجيج يأوى إلى كرم ساحته .

وأما هاشم فهو أعظم العرب وفاء وأكثرها سخاء، وازكاها نفسا، وأشدها بأسا وهو أول من مهد الطريق لرحلة قريش فى الشتاء الى اليمن، وفى الصيف إلى الشام .

وأما عبد المطلب فكان أفصح العرب لسانا، وأقواها بيانا، واثبتها جنانا وأوفرها احتراما .

وأما عبدالله فهو ثمرة المجد الاثيل، ودرة النسب الجليل، وأكرم قريش خلالا وأحسنهم كمالا، وأحب أبناء عبد المطلب اليه، وأعزهم لديه .

وكما اختار الله لنبيه اشرف الآباء اختار له أطهر الامهات فأمه ﷺ آمنة بنت وهب سيدة نساء بنى زهرة . وقد جمع الله بين هذين الوالدين الكريمين والاصلين الطاهرين بالزواج الصحيح الكريم وفقا للشريعة الحنيفية وبذلك صان الله نسبه الشريف من عادات الجاهلية . ولم تلبث آمنة بعد أن بنى بها عبد الله ان حملت بسيد الانبياء ورحمة الله فى الارض والسماء . ثم خرج عبد الله فى تجارة إلى الشام فمرض فى الطريق قريبا من المدينة وبها اخواله بنو عدى بن النجار فنزل عندهم مستشفيا من مرضه فعاجلته المنية ولحق بربه راضيا مرضيا .

ومرت آمنة بحملها لا تجد ثقلا، ولا ألما، ولا تعبا، ولا وحما، ورأت فى أثناء حملها أن نورا انفصل منها أضاءت له الارجاء . ولما اتمت أشهر حملها أخذها المخاض فولدت محمدا أفضل الأولين، والآخرين وخاتم الانبياء والمرسلين . وقد كان ميلاده ﷺ فى عام الفيل الذى صد الله فيه ابرهة وجيشه عن بيته الحرام وجعل كيدهم فى تضليل فحمى بذلك حماه وصان وطن نبيه ومصطفاه، وأكرم قريشا وأمكنهم من رحلة الشتاء والصيف، واطعمهم من جوع وآمنهم من خوف، وكأن أحدا من اهل مكة لم يستطع ان يقرن بين هذا الحادث الخطير وبين ميلاد هذا الغلام الصغير .

كان هذا فى مكة حيث الامة الامية اما أهل الكتاب فكانوا يتحسسون خبره ويرتقبون نبأه . فقد بشرت به أنبياؤهم ونبأت به كتبهم قال تعالى « الذين آتيناهم

الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناءهم وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون »
وليس هذا بغريب فى النقل ولا ببعيد عن العقل فهو دعوة الخليل ابراهيم إذ قال
« ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة
ويزكيهم » وبشرى عيسى عليه السلام إذ قال « يا بنى اسرائيل انى رسول الله اليكم
مصدقا لما بين يدىّ من التوراة ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه احمد » .

روى ابن اسحاق عن خالد بن معدان أن نفرا من أصحاب رسول الله ﷺ
قالوا له يارسول الله اخبرنا عن نفسك قال نعم انا دعوة أبى ابراهيم وبشرى أخى
عيسى ، وانى لقوم أميين عكفوا على عبادة التماثيل ان يقرءوا التوراة أو يتعرفوا
الانجيل ولكن آيات التكريم التى حاط الله بها هذا الغلام العظيم لفتت اليه
الأنظار ونبهت له الاذهان .

وكان رضاعه من حليمة السعدية اول مجالى هذه الآيات :

إذ ابته ليتمه مرضعات — قلن ما فى اليتيم عنا غناء
فأتته من آل سعد فتاة — قد أبتها لفقرها الرضعاء
ارضعته لبانها فسقتها — وبنيها ألبانهن الشاء
اخصب العيش عندها بعد محل — إذ غدا للنبى منها غذاء
وإذا سخر الاله أناسا — لسعيد فأنهم سعداء

وشاء الله ان تقضى أمه وهو ابن ست سنين ، وان يموت جده وهو ابن ثمان
فكفله عمه ابو طالب الذى أحبه من كل قلبه ، وكان لا يفارقه فاصطحبه فى رحلة
إلى الشام وكان له من العمر اثنا عشر عاما ورأى وسمع من الراهب بحيرى ما جعله
يوقن بأن القدر يهىء لهذا الغلام أمرا . فلما بلغ سن الرجال كانت امانته وصدقه
مضرب الأمثال، وعلمت بذلك السيدة خديجة بنت خويلد فعرضت عليه ان يتجر
فى مالها فقبل وسافر على بركة الله فخالفه التوفيق وعاد بربح وفير ، وبذلك استيقنت
من صدقه وأمانته ويمنه وبركته فاختارته زوجا لها وهى هى فى قومها منزلة وحسبا
وثروة ونسبا ، وعقلا ، وأدبا وهو هو فى قريش شرفا وكمالا ، ووسامة وجلالا
وشجاعة وفصاحة . وثباتا ورجاحة . ومروءة ووفاء . ونجدة وسخاء . وكانت

هذه الكمالات المحمدية مخايل النبوة منذ نشأته فكما كان كاملا فى طفولته، كان كاملا فى رجولته، كاملا فى شمائله، كاملا فى فضائله.

فلما بلغ الأربعين من عمره، نبأه الله بوحيه، وأنزل عليه فى غار حراء جبريل الأمين، بأول نجم من نجوم القرآن الكريم، ثم أمره بتبليغ دعوته إلى عشيرته الأقربين، ثم إلى الناس أجمعين، فكان كاملا فى نبوته ورسالته، حمله الله أعباء الرسالة العامة الخالدة التى تتناسب مع أهليته وعظمته، فمكث ثلاثاً وعشرين سنة يبلغ رسالة الحق إلى الخلق فى أمانة وصدق.

تلك الرسالة التى استوعبت مطالب الحياتين، وكفلت سعادة الدارين، رسالة تحقق للناس الاستقرار والأمن فى الدنيا، والفوز والنعيم فى الآخرة، رسالة دعت إلى جمع القبائل والشعوب، فى امة واحدة، تحت راية واحدة، هى راية التوحيد، تحقيقا للأخوة الإنسانية، وقضاء على العصبية الجاهلية «إن هذه امتكم امة واحدة وأنا ربكم فاعبدون» رسالة كرمت العقل، ومجدت العلم، ودعت إلى التأمل فى ملكوت السموات والأرض قال تعالى «قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر اولو الألباب».

رسالة حققت العدالة الاجتماعية، فأنصفت الفقراء من الأغنياء بما شرعت من حق معلوم للسائل والمحروم، وصانت كرامة المرأة، وأنصفت الرقيق والخدم قال ﷺ «اتقوا الله فيما ملكت أيمانكم، اتقوا الله فى الضعيفين المملوك والمرأة».

رسالة دعت إلى الحرية والاخاء والمساواة، والشورى واحترام الحقوق، «واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا» «ليس لعربى فضل على عجمى إلا بالتقوى» - «وأمرهم شورى بينهم» - «كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه». رسالة قررت المسئولية الفردية، والمسئولية الاجتماعية «ولا تزر وازرة وزر اخرى» — «وأن ليس للانسان إلا ما سعى» — «المسلمون تتكافأ دماؤهم، ويسعى بذمتهم ادناهم، وهم يد على من سواهم».

رسالة أمرت بالتنافس فى سبيل الخير والانتاج والاصلاح «فاستبقوا

الخيرات إلى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم تعملون » « وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون » .

فإذا كان المسلمون اليوم يحتفلون بذكرى ميلاد نبيهم العظيم فإنما يحتفلون بنبي الأخلاق الكريمة ، والمبادىء القويمة ، ولقد كان ﷺ يمجد يوم ميلاده سئل عن صوم يوم الاثنين فقال « ذلك يوم ولدت فيه ويوم بعثت فيه » وكان أصحابه في حياته وبعد مماته يقتفون أثره في الحفاوة بهذا اليوم ، وسار على نهجهم التابعون ومن تبعهم بإحسان .

وإذا كان المسلمون اليوم قد استحدثوا مواسم كريمة في الحفاوة بهذا اليوم الأغر فانهم يهدفون الى غاية أسمى مما تعارف عليه الناس في الاحتفال بذكرى ميلاد العظماء والكبراء وحفاوة الآباء بذكرى ميلاد الأعزاء من الأبناء ؛ فان هؤلاء إنما يهدفون الى اشاعة السرور في افق الأمة او الاسرة وإرسال الأماني والآمال وازجاء الدعاء والابتهال ان يطيل الله حياة المحتفى به حتى يحقق ما يرجى فيه من نفع فاذا ادبر اصحاب الذكريات عن الدنيا ، كان الاهتمام بذكراهم محدوداً الى حين .

أما ذكرى ميلاد المصطفى ﷺ فانها رغم انتقاله من الحياة الدنيا الى الرفيق الأعلى لا تزال فتية لأنه لا يزال حيا في مبادئه: يملأ القلوب بحبه ، والدنيا برشده والبصائر بعظمته، والآذان بسيرته، والايمان بآثار رسالته. وها هي الامم الاسلامية في مشارق الارض ومغاربها تهتدى بشريعته منذ اربعة عشر قرنا وستظل تهتدى بها ما بقي في الدنيا حياة ، وما بقى في الحياة تفكير. ولعل سر ازدياد الحفاوة بهذه الذكرى عاما بعد عام ان الناس كلما امعنوا في التفكير أدركوا عظمة الاصلاحات التى افادها العالم ولا يزال يفيدها من هديه .

نسأل الله ان يوفقنا للعمل بشرعته ، والسير على سنته ، وان يحقق للمسلمين ما يرجون من مجد ، وما يبغون من سؤدد ، في ظل حضرة صاحب الجلالة الملك المعظم «فاروق الاول» ايد الله عرشه ، وبارك على ملكه ، وسدد خطاه ، وحقق له خير مايتمناه ، وجعل عهده عهد يسر ورخاء ، ويمن وهناء؛ ووفق رجال حكومته الرشيدة الى تحقيق الآمال القومية ، والاهداف الوطنية ، انه على مايشاء قدير وهو نعم المولى ونعم النصير.

هداية القرآن

القذف وأثره فى المجتمع

قال الله تعالى وهو أصدق القائلين « وَالذينَ يَرْمُونَ المحْصَنات ِ ثمَّ لم ْ يَأتوُا بأرْبَعَة ِ شُهدَاءَ فاجْلِدُوهمْ ثمَانِينَ جلدَةً وَلا تقبلوا لهمُ ْ شهادَةً أَبدًا وَأُولئكَ همُ الفاسِقونَ ، إلا الذينَ تابُوا مِنْ بَعْدِ ذلكَ وَأَصلحُوا فإنّ اللهَ غفُور رَحيمٌ » .

للاسلام نظرة للحياة شاملة توثق العلاقات بين الأفراد وتحافظ على الأعراض وتحذر من انتهاك الحرمات من غير دليل ولا برهان ، وهذا التحذير من القول بغير علم قد طلبه الشارع من المكلف فى جميع تصرفاته حيث قال تعالى « ولا تقف ماليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا » ويقول جل وعلا « يأيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ان تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين » وهكذا يرى المتتبع للقواعد الشرعية انه كلما زاد الفعل اضرارا بالمجتمع زادت الضمانات المطلوبة وزادت العقوبات التى يرتبها الشارع على فاعل الفاحشة ، ومرتكبها ، وعلى الواصف بالفاحشة لغيره دون برهان. وأقوى الضمانات وآكد الشهادات التى طلبها الشارع للاثبات : شهادة القذف ، اذ طلب لاثباتها أربعة من الرجال يشهدون بها نظرا لخطورة هذه الفعلة الشنعاء وما يلحق الموصوف بها من ضرر يسىء إليه وإلى عائلته بل يسىء إلى المجتمع كله « ان الذين يحبون ان تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا لهم عذاب أليم فى الدنيا

والآخرة والله يعلم وأنتم لاتعلمون، وذلك لظهور الحياة الخلقية اللازمة للمجتمع الصالح بمظهر الانحلال والضعف .

ونعود بعد بيان الحكمة فى التشديد على اثبات القذف إلى شرح الآية الكريمة ببيان مفرداتها، ومعناها على التفصيل ، وبيان مذاهب العلماء فى الأحكام المستنبطة منها بالقدر الذى تدعو الضرورة إليه .

اصل الرمى القذف بشىء صلب والمراد به هنا الشتم مجازاً بقرينة قوله تعالى « ولم يأتوا بأربعة شهداء » اذ ليس المراد ان الشهود يشهدون بأنهم رموا المحصنات بالحجر، فيتعين ان يكون المراد انهم يرمون المحصنات بالعيب ، والعيب هنا يراد به الزنا، لأن هذه الآية مرتبطة بالآية التى قبلها، وموضوعها بيان عقوبة الزانى . والاحصان فى الأصل معناه المنع ، والمحصن بالفتح يكون بمعنى الفاعل والمفعول فالمرأة المحصنة هى التى تتصف بالعفاف عن الزنا ، وتكون مسلمة حرة متزوجة وقد قيل أن سبب نزول هذه الآية « قصة الافك »ثم بينت الآية الكريمة بعد ذلك عقوبة رامى المحصنات عند عجزه عن الاثبات بأن الزمت ولى الأمر بجلده ثمانين جلدة وقد اختلف العلماء فى قيام ولى الأمر بتنفيذ هذه العقوبة هل يكون بعدطلب المقذوف، أو يكون من حقه أن يقيم الحد من غير طلب ، فذهب ابن أبي ليلى إلى الثانى ، وقال أبو حنيفة وأصحابه والاوزاعى والشافعى لا يحد الامام إلا بعدمطالبة المقذوف . ومنشأ الخلاف فى هذا راجع إلى أن الحد حق العبد أو حق الله تعالى ، ثم بينت الآية بعد ذلك عقوبتين أخريين هما ردشهادة القاذف وتفسيقه ، واختلف العلماء فى ان رد الشهادة متوقف على الجلد أو غير متوقف فقال الشافعى والليث ان ظاهر الآية يفيد انه متى قذف وعجز عن البينة استحق العقوبات الثلاث وهى الجلد ورد الشهادة والتفسيق ، وقال أبو حنيفة ومالك لا ترد شهادته إلا بعد جلده فما لم يجلد يكون مقبول الشهادة مستدلين لرأيهم بأن الواو وان لم تقتض الترتيب لكن الظاهر من الترتيب فى الذكر انه على وفق

الترتيب فى الحكم ، إذان الأصل قبول الشهادة مالم يطرأ مانع ، ولقول الرسول ﷺ « المسلمون عدول بعضهم على بعض إلا محــدوداً فى قذف » فهذا صريح فى ان شهادة القاذف لا ترد إلا بعد حده ، وكما كان الجلد واجبا تنفيذه على ولى الأمر كذلك عدم قبول شهادة القاذف مكلف بتنفيذه ولى الأمر ، وقد اختلف العلماء فى رد شهادة القاذف ، هل هو من تمام الحد ، أو يكون عقوبة زائدة على الحد ، فذهب الحنفية إلى ان رد شهادته من تمام حده مستندين فى ذلك إلى ظاهر الآية حيث رتبت على القذف عقوبتين . وقال مالك والشافعى ان الحد هو الجلد فقط ، ورد الشهادة عقوبة زائدة على الحد .

واحتج هؤلاء بأن الجلد عقوبة بدنية ورد الشهادة عقوبة معنوية فهما لا يتجانسان ولا يكونان حدا واحدا ؛ إذ المألوف فى كل ماشرع من الحدود لحفظ الأرواح والدين والعرض والمال والعقل انه عقوبات بدنية محسوسة ، وحد القذف إنما شرع لصيانة العرض فحمله على الجلد أولى إذ بذلك يكون مشابها وموافقاً للاعم الأغلب فى الحدود ، ويؤيدون هذا الاستئناس العقلى بدليل من السنة فقالوا ان رسول الله ﷺ قال لهلال بن امية « البينة أو حد فى ظهرك » فذلك صريح فى ان الجلد هو تمام الحد ولولا ذلك لما صح ان يقول أو حد فى ظهرك لأن رد الشهادة لا يصيبه فى ظهره ولا فى أى عضو من أعضائه .

وأما الحنفية فيحتجون بظاهر الآية فأنت ترى ان الآية قد رتبت على القذف عقوبتين هما : الجلد ورد الشهادة ، وامرت الامام بانفاذهما فى القاذف . فهذا النظم بترتيبه العربى يتبادر منه ان هاتين العقوبتين معا هما تمام الحد ، ثم يزيدون على ذلك ان الشافعية قد فهموا من قوله ﷺ « البكر بالبكر جلد مائة وتغريب سنة » ان حد البكر هو مجموع الجلد والتغريب فما لهم اذاً لم يفهموا مثل ذلك فى الآية فيسلموا ان الحد على القذف هو مجموع الجلد ورد الشهادة .

وينشأ عن هذا الخلاف فرع فقهى هو ان الحنفية القائلين بأن الحد يتألف

من العقوبتين معا يلزمهم ان الامام لا يرد شهادة القاذف إلا إذا طالب به المقذوف اتباعا لقاعدة الحدود من ان الامام لا يستوفيها إلا إذا قام يطالب بها من وقعت عليه الجناية ، أما على قول مالك والشافعية فشهادة القاذف مردودة من غير توقف فى ذلك على مطالبة المقذوف لأنها ليست داخلة فى الحد .

وقد ختمت الآية بما يردع القاذفين، ويزجرهم عن تجريح الأعراض والحرمات: من الاشارة إليهم بوصف الفسق. وكأن الآية تنادى عليهم بأنهم قد بلغوا فى فسقهم مبلغاً شنيعاً فظيعاً حتى أصبحوا بذلك معروفين ترمقهم من أجله العيون ، ويشير إليهم البنان ، وإذا لاحظت ان هذا الوصف قد جاء فى جملة خبرية تبينت مدى ما شهر القرآن بالقاذفين، وهجن من فعلهم. وحسبك ان المفسرين يفهمون من هذا الأخبار ان الفسق ثابت لهم عند الله ، وكفى بذلك ردعا لهم ، وتنفيرا منهم وتحذيراً للمؤمنين .

على ان القرآن الكريم قد عودنا ان يجعل للذين أسرفوا على أنفسهم، وفسقوا عن أمر ربهم سبيلا إلى تدارك أخطائهم واصلاح ما فسد من أمرهم فقال سبحانه « إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فان الله غفور رحيم » فى هذا الاستثناء بعد ما تقدم من تغليظ العقوبة ، واسقاط الكرامة برد الشهادة ، وشناعة ما اتصفوا به من الفسوق — تأميل لأولئك المساكين، وتحضيض لهم على الاستقامة بعد العوج والتطهر مما جنوا على أنفسهم من الرجس ، لأن الله جلت رحمته لا يحب لعباده الاثم ، ولا يرضى لمؤمن ان يقيم على خطيئة . وقد جعل لهم التوبة فرجا من ضيقهم ، وطهوراً من خطاياهم . فهل يتعظ أولئك الخاطئون ؟ وإلى التوبة والاصلاح يبادرون، حتى ينالوا رحمة ربهم ومغفرة ذنوبهم فيكونوا مع المؤمنين وسوف يؤتى الله المؤمنين أجراً عظيما .

عبد الله مصطفى المراغى

مدير المساجد

هدى الرسول

المحرومون

عن أبي ذر رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال « ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم . قال فقرأها رسول الله ﷺ ثلاث مرات . قال ابو ذر خابوا وخسروا ، من هم يا رسول الله ؟ قال المسبل والمنان والمنفق سلعته بالحلف الكاذب » .

المفردات :

يزكيهم : يطهرهم . المسبل : من يطيل ثوبه خيلاء . المنان : من يعطى ثم يمتن بعطائه . والمنفق سلعته : التاجر الذى يروج سلعته بالحلف الكاذب .

الشرح :

هؤلاء الثلاثة هم المحرومون ولست اقصد بالمحرومين اولئك الذين حرموا الغنى والثراء ، او حرموا العطف والعطاء ، وانما اقصد اولئك الذين حرموا فضل الله ورحمته وهداه وجنته وهم : المسبل والمنان ، والتاجر الذى يروج بضاعته بالحلف الكاذب . فهؤلاء لا يكلمهم الله يوم القيامة وهذا منتهى الحقارة والهوان لأن كلام الله لعباده يومئذ دليل الحظوة والاكرام فمن الجلى ان الملك إذا تعطف فكلم بعض رعاياه كان ذلك اعلاما بما لهم عنده من رفيع المكانة وعظيم المنزلة وإذا اعرض عنهم كان اعراضه دليلا على انهم لم يرتفعوا الى افق الرضاء السامى .

ولا شك ان منزلة المكانة ارفع منازل القرب والرضا وتليها منزلة النظر

الكريم فإذا حرم المرء نظر الله اليه ، فقد حرم منزلة من منازل الرعاية الإلهية والعناية الربانية ، ونظرة الملك الى فرد من افراد شعبه غاية ما يتمناه رجل يقدر حدب الملوك على الشعوب فكيف بعطف ملك الملوك .

وكذلك لا يزكيهم الله والتزكية هنا التطهير من الذنوب فهو لا يشملهم بغفرانه ولا يمنحهم صفحه ، وعظيم رضوانه ، ولهم فوق كل ذلك عذاب اليم ، يؤلم اجسامهم كما ألمت ارواحهم لاغضاء الله عنهم .

وقد هال أبا ذر حين سمع بوعيد هؤلاء ومصيرهم وكبر عليه ـ ان يكون ذلك مآل فريق من الناس فقال خابوا وخسروا من هم يا رسول الله ؟ فقال رسول الله ﷺ هم « المسبل والمنان والمنفق سلعته بالحلف الكاذب » .

(١) فالمسبل هو الرجل الذى يطيل ثوبه تيها وكبرا ، واختيالا وفخرا ، فهو لضعف إدراكه يظن ان الرفعة بإطالة الأزياء ، وان العزة بالتغالى والادعاء ، وقد غفل عن ان الله الذى بيده القلوب لا يحب من كان مختالا فخورا ، وان من احبه الله اودع القلوب حبه ، ومن ابغضه أودع القلوب بغضه .

ومن سوء التفكير ان يعتقد بعض الناس ان المظاهر الخلابة ترفع قيم الناس فى المجتمع وقد يكون هذا صحيحا بادىء الرأى ولكنه موقوت بأمد قليل بقدر ما تتكشف الحقيقة للناس فيسقط ذلك المختال من حالق ، ويهوى من شاهق وحينئذ يعلم ان القيم الحقيقية بالمعنويات المستقرة من الفضائل والمعارف والثقافة ومهما تكن المادة براقة تغرى الأبصار وتستهوى الأنظار فإن مصيرها الى زوال . يحدثنا القرآن الكريم ان قارون خرج على قومه فى زينته ، فقال الذين يريدون الحياة الدنيا ياليت لنا مثل ما أوتى قارون انه لذو حظ عظيم ، وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا ولا يلقاها إلا الصابرون .

وصدق هؤلاء فقد كان مصير قارون ما قصه الله بقوله « فخسفنا به وبداره الأرض فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين وأصبح

الذين تمنوا مكانه بالأمس يقولون ويكأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر لولا ان منّ الله علينا لخسف بنا ويكأنه لا يفلح الكافرون » .

وهكذا كثيرا ما يكون اهل الخيلاء ، من الأغنياء ، فتنة للمقلين والفقراء فيثيرون فيهم من السخط والألم والاستياء ما يملأ جو المجتمع بالفواجع والمآسى والبغضاء فكان من العدل الإلهى ان لا يكلم الله هؤلاء ولا ينظر اليهم إلا بعين المقت والغضب :

ويقص علينا القرآن الكريم من وصايا لقمان لابنه قوله « ولا تصعر خدك للناس ولا تمش فى الأرض مرحا إن الله لا يحب كل مختال فخور » .

وجدير بهؤلاء الأثرياء الذين يبالغون فى ترفهم ويتغالون فى ازيائهم ان يحدوا من هذا الترف والتغالى ليرجعوا بشىء من فضله على قوم يرتقون اسمالهم بزرقة السماء ،ويفترشون فى نومهم حصير الغبراء ، فإن الاسلام دين التراحم، والتعاطف والعدالة الاجتماعية .

وليس تخير الثياب جميلة نظيفة محظورا إنما المحظور المبالغة فى الترف إلى حد التبذير والسرف بينما يضنون بما فرض الله عليهم من حق معلوم للسائل والمحروم . فقد ورد أن الرسول ﷺ قال : « لا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال ذرة من كبر فقال رجل يارسول الله إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا ونعله حسنة . فقال رسول الله ﷺ ان الله جميل يحب الجمال ، الكبر بطر الحق وغمط الناس .

(٢) والمنان هو من يعطى العطاء ثم يجلس للناس يحدثهم بعطائه وسخائه فيأتى بذلك شيئا إمرا ويفعل امرا نكرا . وانكر منه أن يمن على الآخذ فى مواجهته فيؤذى انسانيته ويجرح كرامته وقد كان خيرا له ألا يعطى ليوفر على نفسه ماله وعلى الفقير كرامته ؛ فان خير العطاء ما كان للخير مجردا عن الشهوات الدنيئة، والأغراض الرخيصة ؛ وفى القرآن الكريم « قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى والله غنى حليم » .

وقد سوى الله بين المنان والمرائى فقال : « يأيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى كالذى ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر فمثله كمثل صفوان عليه تراب فأصابه وابل فتركه صلدا لا يقدرون على شيء مما كسبوا والله لا يهدى القوم الكافرين » .

وفى المجتمع أصناف من المنانين بالعطاء فهذا يعطى لتعلن عنه الصحف السيارة ، وآخر يعطى لتتحدث عنه المجالس ، وثالث يعطى لينال حظوة أو رتبة ورابع يعطى انتظارا لثناء الفقراء أو دعائهم، وخيرهم الذى يعطى لوجه الله أو قياما بالواجب عليه فى ماله أو نحو المجتمع وفى هذا يقول الله تعالى « ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضاة الله وتثبيتا من أنفسهم كمثل جنة بربوة أصابها وابل فآتت أكلها ضعفين فان لم يصبها وابل فطل والله بما تعملون بصير »

(٣) والمنفق سلعته بالحلف الكاذب هو الذى يروج سلعته بالحلف ليتوصل إلى الربح الكثير وما درى أن هذا الحلف يظهره بمظهر الحقارة الذى يحس به من ذات نفسه فيحاول أن يستر ذلك بحلفه وانما يفعل ذلك رجل يشعر بشك الناس فى صدقه فيحاول دعم قوله بيمينه ليضفى على كلامه قوة الثقة فيجنى من وراء ذلك ربحا يخاله باقيا وقد غفل عن الحقيقة المؤلمة التى أعلنها الرسول فى مصير الربح حيث قال « اياكم والحلف فانه ينفق ثم يمحق » وفى رواية « الحلف منفقة للسلعة ممحقة للكسب » .

هذا إذا كان الحالف صادقا فكيف إذا كان كاذبا فاجرا فجزاؤه ماجاء فى وعيد قرينيه المسبل والمنان على لسان الصادق المصدوق فى هذا الحديث وفى قوله ﷺ « من اقتطع حق امرىء مسلم بيمين هو فيها كاذب أوجب الله له النار وحرم عليه الجنة قيل يارسول الله ولو كان شيئا قليلا قال ولو كان قضيبا من أراك » فليستمع إلى هذا الوعيد أولئك الذين تعودوا كثرة الحلف فى البيع والشراء والمعاملات

(البقية على صفحة ٢٧)

الآداب الإسلامية

قناعة سعيدة

عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : « اشترى رجل من رجل عقارا، فوجد الذى اشترى العقار فى عقاره جرة فيها ذهب ، فقال له الذى اشترى العقار : خذ ذهبك ، إنما اشتريت منك الأرض ولم أشتر الذهب ، وقال الذى له الأرض : إنما بعتك الأرض وما فيها . فتحاكما إلى رجل ، فقال الذى تحاكما إليه : ألكما ولد ، قال أحدهما لى غلام ، وقال الآخر : لى جارية ، قال أنكحا الغلام الجارية ، وأنفقا على أنفسهما منه ، فتصرفا »

* * *

فى إحدى سهرات المساء قصدت إلى سامر تعودت الجلوس فيه بين الحين والحين ، وكان جو الليلة باردا بعض الشىء فأبطأ علىّ السُّمار وبقيت وحدى ليس معى أنيس ، وبدأ الضيق يأخذ طريقه إلى صدرى ، وكان قريبا من مجلسى جماعة يتحدثون فى جهر ويتناولون مشكلات الحياة بالتحليل ، فألقيت السمع إليهم عسى أن أجد فيما أسمع شيئا يؤنس وحدتى ، ويفك عقدة انقباضى . . . وسمعتهم يتنادون ففهمت من تناديهم أنهم على ثقافة مهنية مختلفة ، فهذا طبيب بإحدى الوزارات ، وذاك مهندس بالجيش وآخر مدرس بالمعاهد العلمية المدنية ، ولم أستبن مهن الباقين ، وبدأ المهندس يمازح الطبيب ويقول له : لو خيرتُ أن أرسم لنفسى طريق الحياة قبل فوات الأوان لاخترت أن أكون طبيبا ، فليس أقدر من الطبيب على جمع المال، فى كل يوم تنثال عليه الخلق من كل ناحية وقد مرضت

أبدانهم ، وعمرت جيوبهم ، فهم يعطون مافى جيوبهم للطبيب على أن يعطيهم صحة الأبدان ، ولا يكلفه ذلك إلا نظرة عين أو كلمة لسان ، . . رزق متجدد بين اليوم واليوم ، أو قل بين الساعة والساعة والله يرزق من يشاء بغير حساب ، . . ونظرت أنا إلى وجه الطبيب وما انطبع عليه من أحاسيس فى أثناء الكلام ، وبعد الفراغ منه ، فراعنى ما رأيت . . ابتسامة مغتصبة تطوى مرارة ناطقة ، وشرود دائم يعبر عنه امتداد بصره إلى مكان بعيد غير محدود ، وقطع علىّ تأملاتى صوت المدرس ، وقد بدا فى لهجة خطابية متحمسة يعدد متاعبه ومتاعب أبناء طائفته . . ويذكر أنهم يشقون فى النهار بين التلقين والتصحيح ، ويشقون فى الليل بإعداد ما سيلقنون فى الغداة وبإكمال ماضاق النهار عن تصحيحه ، وأنهم بذلك لا يجدون فراغا يخلون فيه لأنفسهم فيرفهون عنها ، ولا لأولادهم فيتعهدونهم . . وليتهم على هذا الجهد الشاق يستمتعون بالمال الذى يهىء لهم حياة ناعمة ، وعيشة راضية ، ونظرت مرة ثانية إلى الطبيب . . ولا أدرى لماذا نظرت إليه دون سواه . . فإذا ابتسامته على ما عهدتها وإذا بصره لا يزال ممدودا نحو مالا أدريه . . وقطع علىّ تأملاتى صوت الطبيب نفسه ، وكأنه يستجمعه من نفسه استجماعا ، وبدأ وديعا صافيا إلا نبرة حزن كانت تتجلى برنينها فى أذنى فكأنما تخزنى وخز الابر . . قال : لقد خضنا فى حديث المال والأعمال ، ولست أدرى لم اقتصرنا على تناول ذواتنا دون أن ننظر إلى المجتمع الذى يعج بالمطامع ، ولا تقف عجلة الشره فيه عند غاية ، وكلما شبع فرد فيه قام مارد المال فى نفسه يغريه بالزيادة ويحثه على الجمع مهما اختلفت السبل ، وتنوعت الوسائل . . فهذا تاجر لا يقنع بربح الضعف فيما اشترى ولا بربح الضعفين ، ولكنه يحتكر . ويختزن ، ويساوم فى الخفاء ، وأمله أن يرفع العمارات بعـــد العمارات ، ويكتنز الفضاء ، ويمتلك الضياع ، ولو كان ذلك على حساب جوع الناس ، وإفلاس المتوسطين فى الدخل ، وكأن شريعة الغاب قد أصبحت مسنونة مشروعة فى حياة هؤلاء المتجرين بدماء الناس . . فان طلبت من هؤلاء الرحمة فسبيلك فى طلبها الوعظ الذى لا يصل إلى قلوبهم إلا كما يصل صوت

الصائح فى الصحراء إلى أذن ساكن القـــاهرة ، وسبيلك فى هذا القانون الذى يتحايلون على الهروب منه بشتى الوسائل ومختلف الحيل .. ووالله لايجدى الوعظ ولا ينفع القانون إذا انعدم الضمير ، فحاجة الأمة ماسة إلى الضمائر لا إلى القوانين. أفنلام على جمع المال بعد ذلك ونحن نفنى فى سبيله عمرنا ونضحى براحتنا ، ونحبس أنفسنا على سماع أنات المتألمين وآهات المرضى المتوجعين .. نحبس أنفسنا ساعات طوالا على تخفيف هذه الآلام ، وشفاء تلك الأسقام ؟ وهب أننا قنعنا بالقليل ، ورضينا بما يمسك علينا حرارة الحياة ، أنستطيع ان نحقق إمكانياتنا فى مجتمع هام بالمال هذا الهيام؟ أم نصبح عزّلا منفردين بالخسارة دون سائر الطبقات ؟ .. وفزعت أنا مما سمعت ، "وبدأت ابتسامة الطبيب الباهتة ترتسم على شفتى" ، وبدأ شررها ينتقل إلى عينى ، وسبحت فى تأملات أبعد ماتكون عن المادة وعالمها ، وأقرب ما تكون إلى أمل فى إصلاح المجتمع حتى يسير مستقيما على نهج يبشر بالخير ، ويدعو إلى التكافل والسلام وترامت صور متعددة للمدنية الفاضلة أمام باصرى" وقطع على تأملاتى صوت صاحب من أصحابى الذين كنت انتظرهم فنهضت واقفاً لتحيته فرأيت القوم الذين كانوا على مقربة منى قد تهيئوا للانصراف، وفى وجوههم تجاعيد خطتها الحسرة وجسمها فقد المثالية فى عالم جن جنونه فلم يعد فى نظرهم يصلح إلا إلى التشدق بالكلمات .. كلمات تندد بالانحلال دون أن تسعى بعمل من الأعمال إلى التماسك والنظام .. وكأننا لاحظ صاحبى شرودى فسألنى فيم أفكر ؟ فأجبته : لقد كنت أهمس فى أعماقى بقول شوقى :

ملكنا مارن الدنيا بوقت فلم نحسن على الدنيا القياما

ثم قصصت عليه ما سمعت فى تلك الليلة وما رأيت ؟ .. وأخذنا فى الحديث ، وكأننا نكمل ما قطعه القوم بقيامهم ، وذكر لى صاحبى ان أسرة من أكرم الأسر وأعرقها أصلا عندها أكثر من عانس لم يتقدم إليهن زوج ، ولم يطرق بابهن خاطب لأن أهل العوانس لا يملكون عقاراً ، ولا يحوزون ضياعا ، وأصبح المال يشفع للشوهاء ،والجاهلة والعانس، فيسكن كلا منهن بيت الزوجية طمعاً

فى مالهن ، وبذلك فسدت الحياة الزوجية لأنها لم تؤسس على تقوى من الله ورضوان ، وإنما أسست على عرض الدنيا ، وزينتها الزائلة ، ونظر الأزواج إلى مال الزوجات نظرة الصياد إلى الطيور ، فإن أعطوا من الأموال رضوا ، وإن لم يعطوا منها إذا هم يسخطون . . وقلت لصاحبي أتظن أن الإنسانية عجزت عن أن تسلك طريق الرشاد . . أم أنها غمرة وتنجلى وتعود الإنسانية إلى صوابها . . إنا نكبر البشرية ونجلها ونسمو بفطرتها عن أن تخبط فى هذا الليل إلى غير آخر ، وان الشمس لا بد مشرقة . . ولكن كيف السبيل ؟

ولمع فى قلبى هذا الحديث الذى قدمته لك عن قصة الرجلين اللذين اختلفا على الذهب، كل منهما يأبى على نفسه ان يأخذه - ويدلى بحجته التى تنهض أمام دينه - عاصمة من أن يلوث نفسه بمال حرام . . يقول صاحب الأرض : لقد بعت الأرض وما فيها .. فكيف استحل المال الذى وجد بها ؟ ويقول من اشترى الأرض . . لقد اشتريت الارض ولم اشتر ذهبا ، فكيف استحل هذا الذهب . ؟ واعجباه . . إنه خلاف على الفرار من الذهب لا على اكتناز الذهب !! إنه فرار بالدين من ان تعلق به شائبة من حرام فتنغص على المؤمن عيشه ، وتطمس إيمانه !! إنها مراقبة الله تأبى على صاحبها ان يأخذ ما غفل عنه البائع ، وتأبى على البائع ان يأخذ مالم يعلم به ولم يدفنه فى بطن الأرض بيده !! ولا ينحسم الخلاف إلا بعد التحكيم .. وتشاء العناية الألهية أن يكون الحكم بصيرا بأوائل الأمور وأعقابها ، خبيرا بخفقات قلب كل من الطرفين المتقاضيين، فلا يحكم بأن يقسم الذهب بينهما مناصفة كما قد يتبادر أول نظرة إلى ما يفض الخلاف، وإنما يسأل الحكم . . ألكما ولد ؟ . . ويتبين ان لأحدهما ولدا وللثانى جارية فيطلب إليهما ان يتزوج الولد الجارية ، وان ينفقا عليهما من هذا الذهب ويصدع الرجلان بما يفرضه الحكم . . ياله من ذهب مسعد سعيد . . جمع أسرة صالحة ورباها على دين وخلق . . دين يعصم ، وخلق يسمو بصاحبه عن عرض الدنيا إلا بعد أن يتأكد من سلامة دينه ..وان أسرة تتربى من هذا الذهب لأسرة تنتج للدنيا أفراداً مثاليين ربما

سعد العالم بتوجيههم فانتشلوه من وهاده وحلقوا به فى سماء المجد والكمال .

نعم : لمعت فى ذهنى هذه القصة التى يرويها الحديث الطاهر : وقلت فى نفسى لعل أسرة صالحة تتربى على مثل ما نشأت عليه أسرة البائع للأرض والمشترى لها فيكون من نسل تلك الأسرة ما يصلح به أمر الدنيا وأمر الدين ، ولعل شيطان المادة الذى يصرخ فى أعماق الناس أن يصعدوا على أكتاف إخوانهم ولو من طريق حرام . ينخذل حين يسمع هذه العبرة الخالدة فتنتبه فيهم الذكرى . . والذكرى تنفع المؤمنين .

كامل محمد أبو العينين
المدرس بالحلمية للبنات

(بقية مقال « المحرومون » المنشور على صفحة ٢٢)

متجاوزين قول الله تعـــالى « ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم أن تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس والله سميع عليم » غافلين عن المصير الذى ينتظرهم فى الدنيا بين الناس واليه تشير الآية الكريمة « ولا تطع كل حلاف مهين »

ذلك جزاء اجترائهم على مقام ربهم ، وذلك علاجهم فاننا إذا لم نصدق الحلافين فى أقوالهم اضطروا طوعا أو كرها إلى الاقلاع عن حلفهم . وإنا لنلمح فى محيطنا الاجتماعى اتجاها حميدا فى سلوك هذا الطريق القويم وقد كثر اقبال الناس على التجار الذين حددوا أسعار بضائعهم ولم يتخذوا المساومة شعارا لمعاملاتهم وكثر هذا النوع بحمد الله بين تجـــارنا الوطنيين ، فأصبحوا يتمتعون بثقة الوطنيين والأجانب على سواء وفى ذلك عبرة وذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ؟

جاد المولى سليمان
المفتش العام بقسم المساجد

الدعوة الإسلامية

الاسلام فى الحبشة

المسلمون فى الحبشة الآن أكثر من ثلاثين فى المائة من السكان ، وهم على الرغم مما يلاقونه من اضطهاد ، ويذوقونه من عسف ويتحملونه من عنت ، ويقاسونه من مطاردة ، يعلنون كلمة الله ، وينادون بدينه ، ويؤدون شعائره ، ويقيمون حدوده ، ويجاهدون فى سبيله ، ويؤذنون بالصلاة والسلام على نبيه الذى أرسله بالهدى والنور ، رحمة للعالمين ، ونجاة للمدلجين ، وقد اتجهت نفوسهم إلى أن يقيموا لهم دولة قوية تحمى شريعتهم ، وتصون عقيدتهم ، وترد عنهم ما عسى أن يتهددهم من خطر أعدائهم الذين يبالغون فى كيدهم ، ويمعنون فى ايذائهم ويحاولون جهد مايستطيعون أن يسكتوا اصواتهم ، ويكبتوا انفاسهم ، حتى تكون لهم — وحدهم — السيادة هنالك « ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين » الا أن جهوداً جبارة تبذل للحد من نشاطهم ، والوقوف فى طريقهم ، واشاعة الفشل فيهم ، وبخاصة بعد ما رأوا ان « الباكستان » الناشئة سوف يكون لها من الشأن ما يجعل تقديرها عظيما فى حساب الدول ان شاء الله . ولكنه سبحانه يقول « فأما الزبد فيذهب جفاء ، وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض » ولهذا فإن الأمل قوى فى أن تبرز هذه الفكرة الى الوجود . ويرى الراءون — قريبا أو بعيداً — علم القرآن مرفرفا على تلك الديار . . ولا سيما والمصلحون على بكرة أبيهم صاروا لا يشكون فى أنه لا ينقذ العالم من شرور المذاهب الهدامة ، والنزعات المتطرفة ، سوى تعاليم ذلك الكتاب الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه . . .

ولهذه البلاد ذكريات طيبه ، وعواطف نبيلة ، واحساسات شريفة ، يحتفظ لهم

بها أتباع محمد ﷺ فى أصقاع المعمورة كلها . . وليس ذلك لأنهم آووا المؤمنين فى بدء الدعوة حينما نزحوا اليهم هاربين من قريش التى قطعت سبحها لخصومة الرسول ، والتنكيل به والصد عن سبيله ، ولكن لان منهم مع ذلك كثيرا من الصحابة الذين ساهموا فى اعلان الدعوة ، وإقامة الملة ، وتركيز سلطان الشريعة ، أمثـــال بلال المؤذن الأول ، ووحشى مولى جبير بن مطعم الذى قتل مسيلمة الكذاب فى خلافة الصديق أبى بكر رضى الله عنه وأرضاه . . ولا ينسى التاريخ للنجاشى الذى اتسع صدره للمهاجرين الأولين الى درجة أنه لم يتأذ من دينهم ، ولم يتضرر من عبادتهم ، فى حين أنها جاءت على أنقاض النصرانية . . انه ضرب أروع الأمثلة للتسامح والحلم ، والصفح والعفو ، ثم لم يكتف بذلك كله ، بل استجاب لدعاية النبى له استجابة كريمة ، وأجاب خطابه له أحسن اجابة ، ولم تفارقه روحه الا وهو فى صفوف المسلمين . . وما صلى عليه النبى ﷺ صلاة الغائب الا وهو على يقين من أنه كان من المؤمنين ، وغير صحيح ما يقال من أنها كانت صلاة مجاملة له على ماقدم للمهاجرين من جميل ، وأسدى من رعاية « ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره » . .

ويقول بعض علماء السير ان الخلق الفاضل الذى رآه الأحباش فى المهاجرين جعلهم يتحدثون بهم ، ويثنون عليهم ، ويرجون — فيما بينهم — لوكانوا يدينون بالإسلام الذى انعكس ضوؤه على النفوس فصيرها أشبه بنفوس الملائكة الأطهار ولذلك فإنهم لم يلبثوا أن وفدوا اليه — هدانا الله بهديه — يستمعون حديثه ، ويتأدبون بأدبه ، ونزل فيهم قوله تعالى « وإذا سمعوا ما أنزل الى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين وما لنـــا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق ونطمع أن يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين » . .

وأغلب الظن أن ذلك — وحده — لم يكن كافيا لانتشار الإسلام فى الحبشة بهذا المقدار الذى هو عليه الآن . . ولهذا فانى رأيت بعض المؤرخين يعزو إلى

عمر بن الخطاب جزاه الله أحسن ما يجزى به العاملين المخلصين - أنه غزى الحبشة فى خلافته لأنها ابتدأته بالعدوان ، فلم يجد إلا أن يرد عليها بالمثل .. إلا أنهم يذكرون ذلك الخبر مقتضبا لا ينتهون منه الى ان الرجل فتح البلاد بالفعل ، أو كانت السيادة له عليها بعد هذا الغزو ، لأنهم يقولون إنه سير جيشه عن طريق البحر فغرقت بهم السفن ، فندم وحلف لا يفعل ذلك فيما بعد ، والعالم يهمه الرجل المدرك لبعد شأوه ، يقول إن عمر بن الخطاب لم يقف من الغزو الى هذا الحد ، ولابد أن يكون قد أرسل إليها جيشه عن طريق البر .. على أن الحبشة كانت قديما تغير على اليمن ، وكانت اليمن - كذلك - تبادلها ذلك الصنيع ، ولا يعدو الحال أن يكون هذا العمل المتبادل ، من سكنى كلا الطرفين فى البلاد المفتوحة ، واقامته فى الوطن الجديد - سببا آخر من أسباب تقارب وجهات النظر ، وتجاوب الأصداء ، وتلاقى الأفكار ، واعتناق الدين .. وربما كانت هذه المعانى مجتمعة أو مفترقة صاحبة الفضل فى نشر الإسلام بين الأحباش ، وسواء أصحت دعوى غزو الحبشة لليمن وغزو اليمن للحبشة أم لم تصح فاننا لا نغفل مسألة كون الحبشة سوقا مهمة فى نظر اليمنيين يصرفون فيها بضائعهم . ويوزعون تجارتهم . وإخواننا « الأزهريون » الذين يسافرون إلى تلك البلاد فى مهمة الدعوة إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، يخبروننا أن كبار التجار المقيمين هنالك أكثرهم من جاليات اليمن ، وأهل حضرموت ، وقد أصبحوا مواطنين غير نازحين .. وإذا كان الشر يأتى بالخير كما جاء فى حديث رسول الله ﷺ فانـــا نرجو أن يكون وراء هذا العسف الذى يلاقيه المسلمون اليوم فى الحبشة - انشاء هذه الدولة التى يحلم المسلمون بها فى هذه البلاد ، وينتظرون ان يحقق الله بها وعده «وكان حقا علينا نصر المؤمنين» وندعوه أن يأخذ بأيدينا فلا نضل . ويحمينا فلا نكبو ، ويرعانا فلا نزيغ ، ويحفظنا فلا ننحرف عن السنن السوى ، والنهج الواضح ، والجادة المستقيمة ، إنه نعم المولى ونعم النصير ؟

ابراهيم على أبو الخشب
المدرس بكلية الشريعة

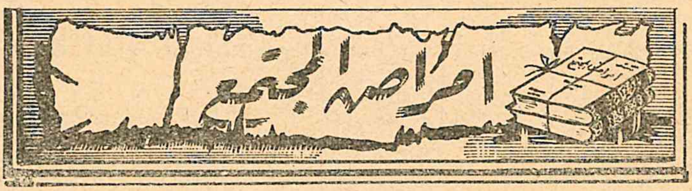

حرم الاسراف على المؤمنين

احسب القارىء الكريم سيسبقنى بتفسير هذا العنوان فيظن أن التبذير فى المال وتبديده فى غير حقه من وجوه الإنفاق هو الاسراف الذى أعنيه، وأتحدث اليوم فيه. ولا شك أن الاسراف فى الأموال أول مايتجه اليه النقد ويتناوله النهى فى قول الله سبحانه وتعالى: «وآتوا حقه يوم حصاده، ولا تسرفوا إنه لايحب المسرفين» فقد روى المفسرون أن هذه الآية الكريمة أنزلت فى ثابت بن قيس بن شماس الذى صرم خمسين نخلة ففرقها كلها ولم يدخل فى داره من ذلك شيئا.

فهذا بين صريح فى أن القرآن الحكيم ينهانا عن التجاوز والشطط فى تصريف هذا المال الذى جعله الله قياما لعباده حتى لو كان ذلك الشطط والتبذير باسم الكرم والسخاء، وكأن هذا الجانب من الأخلاق قد اشتبه على الناس ثم على العرب خاصة وهم مضرب المثل فى التفاخر بالجود، واكتساب الحمد بإتلاف أموالهم فى حق أو غير حق، فمن أجل ذلك تولى القرآن توضيح هذا اللبس وتمييز الحق من الباطل فيما اشتبه على الناس، فحذر من السرف، وأكثر التحذير، وها أنت ذا تراه يعيده فى قوله تعالى: «يابنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا. إنه لايحب المسرفين».

وقد عودنا القرآن ألا يجدد أمره وزجره، ولا يؤكد وعده ووعيده إلا حيث

تمكنت خليقة، واستقر عرف وتحكمت عادة، وهو يريد أن يجتث هذا السوء المألوف، وهذا الخطأ المعروف وهذا السرف المكين. فيبين فى نظمه العالى وإيجازه المبين دستوراً يقيم الحد الفاصل والفرق الواضح بين مانهاهم عنه من شطط وإتلاف، وما يدعوهم إليه ويحضهم عليه من إنفاق بالمعروف فيقول جلت حكمته: « ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوماً محسورا ». ما أبدع هذه الصورة عن المراد تعبيراً وما أبلغ هذا المثل الحسى المرئى لما أراد من قصد وتوسط تصويرا!

ولقد هدى هذا الدستور المسلمين الأولين فوقاهم عاقبة المسرفين فرأيناهم يدبرون أموالهم ويعودون بها على مرافقهم خاصها وعامها فأصلحوا أمتهم والأمم التى تبعت سبيلهم، لقد وجدت كل حاجة سدادها، وكل عسرة تيسيرها، وكل جماعة معيشتها، فلا جرم أن وجدت الأمة طمأنينتها، ونعمت بأمنها وسلامها. وما ذلك إلا لأنهم اتبعوا أمر ربهم، وتلقوا بالقبول والطاعة حكمته فشملهم فضله، ووسعهم رزقه، وشكر مجتمعهم نعمته.

لقد أسعدهم القصد وهداهم إيثار الحق فى نفقتهم ومعيشتهم كما آثروه فى أخلاقهم وعامة أمورهم بقدر ما أشقانا السرف، وآذانا حب الزخرف والباطل فى عيشنا ومظهرنا حين تأصل فى أخلاقنا وصميم تفكيرنا. وماذا بعد أن يرهق المرء مورده بالتأنق والزينة من شطط وإسراف.

تكاد اليوم لا تجد أحداً يكفيه دخله وإن كان جماً موفورا، ذلك لأن الحضارة المعاصرة قد أعدت من ضروب الزخرف والمتاع مايستنزف كل وفر وينضب كل معين. والناس فى ذلك متنافسون، وعلى المزيد منه متهافتون، كل يحرص على الثوب الفخم والمركب الفاره والسمت النفيس. لاهم له إلا أن يفوق إخوانه ونظراءه زينة وفخامة وأبهة واقتناء لكل مايشير إلى الترف والثراء، وقد يعوزه بعد ذلك ظاهره الفخم الغرور كفاية بيته وقوام عيشه وسعادة بنيه. إن حديث الناس عنه بالثراء والسخاء أحب إليه من طمأنينة نفسه ورضا

ضميره إن كان قد بقى لأولئك الذين يعيشون فى أعين الناس - ضمير يرضى ونفس تطمئن، وربما يخدع أولئك المتلافون المسرفون أنفسهم بأن القرآن الكريم يقول: «قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق» ثم يغفلون عن تكملة الآية وما صرحت به من دعوة إلى القصد وزجر عن الإسراف. إنما جاءت هذه الآية توضح الأمر وتبين الحق حين أراد قوم من المسلمين أن يحرموا أنفسهم مالا بد منه من ثوب خشن وطعام طيب، وظنوا أن ذلك يقربهم إلى الله زلفى، فشرعت لهم الآية الحد الوسط. وهدت الصراط المستقيم. وبين رسول الله ﷺ ذلك أوفى بيان فقال: «كل ماشئت والبس ماشئت ما أخطأتك خصلتان، سرف ومخيلة».

ولو تجنب المفرطون فى الترف المتفاخمون بالزخرف هاتين الخصلتين لخلاهم ذنب ولوقوا أنفسهم ومواطنيهم شراً كثيراً، ولكانوا من مرض التنارف والتفاخم بريئين.

وتسألنى ماذا السرف..؟ فيجيبنى ويجيبك عمر رضى الله عنه بقوله: «كفى سرفا أن المرء إذا اشتهى شيئاً اشتراه فأكله». فماذا كان أمير المؤمنين قائلا لمسرفى أيامنا، وصانعاً بمن لايزال السرف به منهم حتى يأتى على مافى يده ثم يستدين ديناً لاطاقة له بأن يقضيه، وقد يختان نفسه ويضيع أمانته فيميل على ماهو خازن فيه فتبلغ الفاجعة الزبى.؟ إن عمر الحليم الرشيد قد رآه عماله يوما يأكل خبزاً قديدا وإدامه قليل من الزيت، وهو يومئذ قيم أقطار الأرض يُجبَى اليه ثمرات كل شىء، فقال له فى ذلك قائل فإذا هو يجيب: لو شئنا لملأنا هذا الرحاب من صلائق(١) وسبائك(٢) وصناب(٣). ولكن رأيت الله قد نعى على قوم شهواتهم فقال تعالى: «أذهبتم طيباتكم فى حياتكم الدنيا واستمتعتم بها فاليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تستكبرون فى الأرض بغير الحق وبما كنتم تفسقون».

---

(١) الصلائق: اللحم المشوي. (٢) السبائك: الخبز الرقاق. (٣) الصناب: صباغ يتخذ من الخردل والزبيب قال جرير: تكلفنى معيشة آل زيد ومن لى بالصلائق والصناب

أما المخيلة فقد فسرها الرسول الكريم بأنها بطر الحق وغمط الناس : ياللكلمة الجامعة والحكمة الرائعة . ! !

هنا يركز رسول الله ﷺ أبصارنا ، بل يضع أيدينا على جرثومة هذا الداء ومصدر هذا البلاء ، فليس إسراف المال إلا عرضاً من أعراض مرض خلقى وبيل . هو الاستعلاء والتطاول والكبرياء وهو الذى يثمر فى سلوك الإنسان ثمرات مرة مختلفاً ألوانها - إن أذنت لى فى تسمية هــذه العاهات بمر الثمر - فالرجل يستعلى ويتطاول ، فيبدد ويبذر غير مبال أن يكون من إخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا . ثم تشتد به علته ويغلبه بطره للحق وغمطه للناس على دينه ومروءته فيأكل أموال اليتيم الذى عاهد أمته وأشهد ربه على حفظه ورعايته ، وقد سمى القرآن هذا اللون من الضعف والخيانة كذلك إسرافا فقال : « ولا تأكلوها إسرافا وبدارا أن يكبروا » .

وإذا أنت رأيت من يخالف عن أمر ربه ، ويقترف ما هو مقترف من ذنب وخطيئة لا صلة لها بالمال . فما هو الا ذلك المرض النفسى يستعلن فى صورة من إسراف العمل وشطط السيرة ، ومن مثل هذا استغفر المؤمنون الصادقون حين قالوا : « ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا فى أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين . » ياويل الإسراف والمسرفين ! ان القرآن ليعلمنا أن ليس بعد الإسراف ذنب ، وأى ذنب أكبر من الكفر بانعم الله والجحود بآياته ، والإعراض عن ذكره ، وعصيان رسله ، والعدوان على عباده ، والإفساد فى الأرض بعد اصلاحها ؟ .

كل أولئك قد سماه القرآن اسرافا وصرح به فى كثير من آياته المحكمات . منها قوله تعالى اذ يقص من أنباء رسله وأعدائهم الألداء ومخالفيهم الأشقياء : « ثم صدقناهم الوعد فانجيناهم ومن نشاء وأهلكنا المسرفين . » ثم قوله سبحانه فى قصة صالح إذ يعظ قومه فيقول : « فاتقوا الله وأطيعون ، ولا تطيعوا أمر المسرفين الذين يفسدون فى الأرض ولا يصلحون » .

وفى سورة طه نقرأ هذه الآيات : « ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى ، قال رب لم حشرتنى أعمى وقد كنت بصيرا ؟ قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى وكذلك نجزى من أسرف ولم يؤمن بآيات ربه ولعذاب الآخرة أشد وأبقى » .

هذه الآيات كلها بينات فى ان القرآن العظيم يقضى على الإسراف بانه جنس واحد تشترك فيه أنواع ، أو نوع يتعدد له أفراد ، فهذا اسراف المال ، وذاك اسراف العمل ، وذلك اسراف العقيدة . انما يجمع بينها ويوحد طبيعتها — وان اختلفت صورها — عوج الخلق ومرض النفس الذى شخصه الرسول ﷺ ببطر الحق وغمط الناس وسمــاه المخيلة . ولكيلا أغادر عند أحد شية من الشك فى هذه القضية التى أراها واضحة الحق بالغة الحجة ، اذ من القرآن الحكيم برهانها ومن السنة الراشدة تبيانها — أتلو عليكم ما جاء فى الكتاب العزيز من آيات تذكر القصد وما يشتق منه من الأوصاف ، فإذا انت ترى عكس ما عهدت من مواقع العوج ومواطن السوء فى ذكر الإسراف ، فإليك قوله تعالى فى سورة لقمان : « واقصد فى مشيك واغضض من صوتك » . امر بالاعتدال ولزوم الحد فى هاتين الخصلتين فلا ترى الأموال ذكرا ولا شأنا ها هنا مما يكشف تماما أن القصد خلق أصيل جميل يتجلى فى جوانب شتى من السيرة ، ويتمثل فى معارض مختلفة من السلوك . وفى هذه السورة نفسها يجىء القصد على نمط آخر من التعبير فى قوله عز وجل : « فلما نجاهم إلى البر فمنهم مقتصد ، ومايجحد بآياتنا إلا كل ختار كفور » .

تشهد هذه المقابلة بين الكلمتين أن المقتصد قائم على عهده ، والإخلاص لربه لم تغرره النجاة ولم تطغه العافية .

وجاء فى سورة النحل : « وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر » .

فعبر بالقصد عن الهداية إلى الطريق المستقيم ، وليس وراء تلك الهداية مزيد من خير يرتجى أو شر يتقى .

أما آية المائدة وهى : « منهم أمة مقتصدة وكثير منهم ساء ما يعملون » . فقد

سمت المؤمنين المتقين من أهل الكتاب مقتصدين . وربما يظن من قرأ هذه الآية من سورة فاطر : « فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله ، ذلك هو الفضل الكبير . » ان المقتصد هاهنا بطّأ به عمله وأخره تقصيره عن السابقين الموفقين ،ولا شك أنه مسبوق بأولئك الكاملين الذين بزغوا على الناس نجوم هدى ،وفاضوا عليهم حيا رحمة وحق وتقى .

ولكن ذلك المقتصد قد شهد القرآن بانه ليس من الظالمين ، ولا هو معدود بين الخاطئين وحسبه أنه قريب من المحسنين .

فالآية تشير بالمقتصد إلى الدرجة الوسطى بين الخسران والإحسان وذلك هو حق ما يستنبطه القارئ لكتاب الله المتبصر فى آياته . يراه قد جعل القصد وما يتفرع منه اسما جامعا لكل خلق مقارب مسدد ومتوسط معتدل وهو فى شموله لشتى صور الاعتدال والسداد فى السلوك والاعتقاد على نحو ما أسلفنا من اشتراك نقيضيه وهو الإسراف بين أنواع الشطط والإنحراف .

ولقد عرف المسلمون الأولون هذه الحقيقة ، واطمأنوا إلى ما فى التوسط والاعتدال من خير وفضيلة قبل أن تترجم لهم فلسفة اليونان ، ويزعم الزاعمون أن « أرسطاليس » ليس هو أول قائل بأن الفضيلة وسط بين الإفراط والتفريط .

ألم يأت هؤلاء قول عمر بن عبد العزيز رحمه الله لعبد الملك بن مروان وقد سأله عن مذهبه فى الإنفاق فقال : « الحسنة بين السيئتين » وقد سبق عمر وعبد الملك عهد الترجمة بدهر طويل ، انما أفاد هذا العلم من حيث أفاده غيره من فقهاء المسلمين وعلمائهم من الهدى القدسى والذكر الحكيم .

ألم يهد القرآن المؤمنين الى سبيل الرشد فى معيشتهم فقال : « والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما » .

أولم يجعل القرآن فضيلة هذه الأمة إن الله قد جعلها أمة وسطا ليكونوا

(البقية على ص ٤١)

طرائف من الأدب العباسي

أعرابيان ظريفان

روى الجاحظ أن أعرابيين من ظرفاء الصعاليك حطمتهما الفاقة ، فانحدرا إلى العراق ، واسم أحدهما « حَيـْدَان » فبينما هما يتماشيان فى السوق وطئت دابة أحد الفرسان رجل « حيدان » فقـُطع اصبع من أصابعه ، فتعلقا به حتى أخذا منه أرش العيب (عوض الإصبع) ، وكانا جائعين مقرورين ، فحين صار المال فى أيديهما قصدا الى بعض الكرابج (محال البقالة) ، فابتاعا ما اشتهيا ، فلما أكل صاحب حيدان ، فشبع ، قال :

فلا غرث [1] ما كان فى الناس كربج　　وما بقيت فى رجل حيدان إصبع

لبـاقة شاعر . .

لما توفى « أبو العباس السفاح » خلفه « المنصور » على العرش العباسى ، وتوافد المعزون الى مجلس المنصور ، ومن بينهم الشاعر الفكه « أبو دلامة » فأنشد بين يديه يرثى السفاح :

أمسيت بالأنبار ياابن محمد　　لم تستطع عن عُقرها تحويلا
ويلى عليك وويل أهلى كلهم　　ويلا وعولا فى الحياة طويلا
فلتبكين لك النساء بعَبرة　　وليبكين لك الرجال عويلا .!
مات الندى إذ مت ياابن محمد　　فجعلته لك فى الثراء عديلا !

(١) فلا جوع .

إنى سألت الناس بعدك كلهم ... فوجدت أسمح من سألت بخيلا !!
ألشقوتى أخرتُ بعدك للتى ... تدع العزيز من الرجال ذليلا ! !
فلأ حلفن يمين حق برّة ... بالله ما أعطيت بعدك سولا . !

فأما الحاضرون فبكوا جميعا ، وأما الخليفة المنصور فرأى فى الأبيات تعريضا به وانتقاصا من قدره ؛ فنظر الى ابى دلامة نظرة كاد يصعقه بها ! ولم يلبث أن صرخ فى وجهه : « لئنْ سمعتك تنشد هذه القصيدة لأقطعن لسانك ! »

فقال ابو دلامة معتذراً مسترحماً : يا أمير المؤمنين كان لى مكرما ؛ ولقد جاء بى من البدو كما جاء الله بإخوة يوسف ، فقل كما قال يوسف لإخوته « لاتثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين » فسرى عن المنصور وقال : قد عفونا عنك يا أبا دلامة فسل حاجتك . فقال : يا أمير المؤمنين قد كان أبو العباس رحمه الله أمر لى بعشرة آلاف درهم وخمسين ثوبا وهو مريض ولم أقبضها ! . واستشهد بسليمان بن مجاهد وعلى بن الجهم فقالا (كاذبين طبعاً) : صدق ابو دلامة ! . .

فقال المنصور : وهو مغيظ لخازنه : ادفعها اليه ، وسَيره مع الجيش الذاهب الى الشام لتاديب (عبد الله بن على) الثائر ! — وكان يعلم ان ابا دلامة شديد الجبن — فارتعد الشاعر فرقاً ! وصاح : انى اعيذك بالله ان اخرج معهم ! فوالله انى لمشئوم ! فقال المنصور . امض فان يُمْنِى سيغلب شؤمك ! فقال وقد ازداد اضطرابه : والله يا أمير المؤمنين ما أحب ان تجرب ذلك منى على مثل هذا العسكر ! فانى لا أدرى ايهما يغلب أيمنك أم شؤمى ؟ ! الا انى بنفسى أوثق وأعرف وأطول تجربة ! فضحك المنصور ، ولكنه اخفى ضحكه ، وقال فى لهجه جادة : دعنى من هذا فما لك من الخروج بد ! فاوشك ابو دلامة ان يُجن ، وادركته لباقته فقال فى نبرة متئدة : « انى اصدقك الآن . شهدت والله تسعة عشر عسكراً كلها هزمت بسبب شؤمى ! . فإن شئت الآن — على بصيرة — ان يكون عسكرك العشرين فافعل ! فاستغرب ابو جعفر فى الضحك !. وأذن له ان يتخلف مع عيسى بن موسى فى الكوفة !

منطق سديد

كان ابراهيم بن المهدى عم المأمون احد الثائرين عليه ، فلما ظفر به مثل بين يديه ، فاستعطفه بكلام كان سعيد بن العاص قد استعطف به معاوية فى غضبة غضبها عليه — وكان المأمون يحفظ هذا الكلام — فقال لعمه : هيهات يا ابراهيم ، هذا كلام سبقك به فحل بنى العاص بن أمية وقارحهم : سعيد بن العاص ! فقد خاطب به معاوية ! فخجل ابراهيم ولكنه استعاد جأشه ثم قال على الفور : وأنت ايضا يا أمير المؤمنين ان عفوت فقد سبقك بالعفو فحل بنى حرب وقارحهم : معاوية ! فلا يكن حالى عندك فى ذلك ابعد من حال سعيد عند معاوية ! فانك اشرف منه ! وأنا اشرف من سعيد ! وانا اقرب اليك من سعيد عند معاوية ! وان اعظم الهجنة ان تسبق أمّية هاشما الى مكرمة ! فقال المأمون : صدقت ياعم وقد عفوت عنك .

مروءة . . ! وعبرة . . !

كانت الخيزران زوج الخليفة المهدى فى مجلسها ذات يوم ومعها زينب بنت سليمان بن على . . فدخلت إحدى جواريها تستأذن لامرأة ذات جمال وبؤس بالباب ، وهى تأبى ان تفصح عن اسمها حتى تكون بين يدى الخيزران . . فاستشارت الخيزران زينب فاشارت بدخولها قائلة انه لا بد من فائدة او ثواب . .

فدخلت امرأة رائعة الجمال فى اسمال بالية لا تكاد تستر من جسدها شيئا ، ووقفت بجانب عضادة الباب ثم سلمت متضائلة وقالت : « انا مزنة بنت مروان بن محمد الأموى » فانتفضت الخيزران وصاحت : « لاحياك الله ! » اتذكرين يا عدوة الله حين أتاك عجائز البيت الهاشمى يسألنك أن تكلمى زوجك ليأذن فى دفن ابراهيم بن محمد ، فوثبت عليهن واسمعتهن مالا يسمعن من قبل ؟! وأمرت فاخرجن على تلك الحالة !؟ .

فضحكت مزنة كما يقهقه المجنون قائلة : يابنت العم : وهل أعجبك ماصار اليه حالى ، بسبب بغيي وعدواني ؛ حتى اردت ان تتأسى بي ؟! نعم انى فعلت بنسائك ماقلت ،

فاسلمنى الله لك ذليلة جائعة عريانة ! او كان ذلك الذى فعلت بى مقدار شكرك لله تعالى على ما أولاك بى !؟ وولت مسرعة ! فصاحت بها الخيزران فرجعت ، فامرت الخيزران جواريها فادخلنها الحمام وألبسنها اجمل الثياب ، وضمخنها بالعطر ثم عانقتها ، واسكنتها فى مقصورة من مقاصيرها ، وبعثت اليها بكل حاجتها . .

وحدثت الخيزران المهدى بالخبر فوثب مغضباً وصاح : « أهذا مقدار شكرك لله على أنعمه ؟! فقالت الخيزران : لقد اعتذرت اليها يا أمير المؤمنين وأرضيتها ! » فهدأت ثورته ، وبالغ فى اكرامها فارسل اليها مائة بدرة . . وقال للخادم قل لها ان المهدى يقول : « والله ما سررت عمرى كسرورى اليوم ! ، وقد وجب على أمير المؤمنين اكرامك ولولا احتشامك لحضر اليك مسلما عليك ! » فلما بلغ ذلك مزنة أقبلت على الفور فسلمت على المهدى بالخلافة وشكرت له صنعه وأثنت على الخيزران ! »

دموع الرشيد ! . .

كان الرشيد يعجب كثيرا بغناء الملاحين فى الزلالات إذا ركبها ؛ ولكنه يتأذى كثيراً باخطائهم اللغوية . فطلب ان ينظم لهم احد الشعراء شعرا يلحن لهم ويتغنون به ، فقيل له ليس اقدر على هذا من ابى العتاهية ـ وكان الرشيد قد زج به فى السجن ـ فارسل اليه يامره بان يصنع شعرا ليغنيه الملاحون ، ولم يامر باطلاق سراحه ؛ فاغتاظ ابو العتاهية ، وحشد شاعريته لينظم قطعة تهيج أشجان الرشيد ، وتثير احزانه . فقال هذه الأبيات التى غناها الملاحون بين يدى الرشيد ، فما زال ينتحب ويعول كالطفل حتى أومأ الفضل إلى الملاحين أن يكفوا :

خانك الطرف الطموح أيها القلب الجموح
لدواعى الخير والشر دُنُوٌّ ونُزُوح . . .
هل لمطلوب بذنب توبة منه نصوح
كيف إصلاح قلوب إنما هن قروح ؟!

أحسن الله بنا إن الخطايا لا تفوح ..!!
فإذا المستور منا بين ثوبيه نضوح
كم رأينا من عزيز طويت عنه الكشوح
صاح منه برحيل صائح الدهر الصدوح
موت بعض الناس فى الأر ض على قوم فتوح

إلى أن قال :

نُحْ على نفسك يا مسـ ـكين إن كنت تنوح !
لتموتَنّ وإن عُمّـ ـرتَ ما عُمّر نوح .!

عبد العظيم بدوى
المدرس بالجيزة الثانوية للبنات

(بقية مقال حرم الإسراف على المؤمنين المنشور على ص ٣٦)

شهداء على الناس ويكون الرسول عليهم شهيدا ، ثم أليس فى القرآن « حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى ، وقوموا لله قانتين » . ؟

أليس فى ذلك تصريح بفضيلة التوسط وخير الاعتدال ؟ وكفى به علما وحكمة وهدى !

أما بعد : فيأيها المسرفون على اختلاف صوركم وتباين مذاهبكم تعالوا أتل عليكم ما يطمعكم فى تدارك أمركم وإصلاح شئونكم ، وإعادة الثقة إلى أنفسكم ، والقوة إلى عزائمكم ، والسلامة الى أخلاقكم ، وذلك قول ربنا العزيز الحكيم : « قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ، ان الله يغفر الذنوب جميعا ، إنه هو الغفور الرحيم » ؟

عبد الفتاح سالم

التاريخ الإسلامي

تاريخ لم ينسه التاريخ

سياسة الرسول فى اجلاء اليهود عن المدينة

كانت هجرة الرسول ﷺ الى يثرب هجرة الحق الى بلد ضاق اهله بالظلم والضلال ، وكان نزوله عليها نزول الغيث على الظامىء للعذب الزلال، وكان مطلعه على اهلها مطلع الصبح ، واشراق النور على المدلجين الحيـــارى فى صحراء ليل مدلهم بهيم .

من هذا الذى ترامت اليهم انباء ائتمار قريش به ؟ ومن هذا الذى يحتمل فى سبيل دعوته اذى قومه ، وهجرة وطنه، وفراق اهله ؛ ويتجشم فى اشد القيظ هذه الرحلة المضنية الشاقة بين الكثبان والصخور التى ترد ضوء الشمس لظى وسعيرا ؟ ومن هذا الذى اختار يثرب للمقام فيها ؟ وماذا سيترتب على هذا المقام من آثار؟

بهذا وأمثاله كان اليثربيون يتحدثون فيما بينهم وبين انفسهم ، وان كان كل فريق منهم يفكر على نحو يخالف غيره ، ويتفق مع ما يرجوه فى ظل هذا الضيف الجديد . فقد كان بيثرب المشركون من سائر الأوس والخزرج وبينهم من العداوة والبغضاء ، واشتجار الحروب ما نعلم، وكان بها اليهود يقيم منهم بنو قينقاع فى داخلها ويقيم بنو قريظة ، وبنو النضير على مقربة منها . وهؤلاء اليهود يأملون فى استمالة هذا الضيف اليهم والاســـتعانة به على تاليف جزيرة العرب حتى تقف فى وجه النصرانية التى أجلتهم عن أرض المعاد : فلسطين .

وهكذا خرج اهل يثرب زرافات ووحدانا ، رجالا ونساء . يستقبلون محمدا ﷺ ، ويتسابقون الى لقائه ؛ وفى كل قلب خفقة ، وفى كل نفس أمل ، وفى كل

عقل تفكير ، فلما استقر الرسول بالمدينة نشأ عنصر جديد اضيف الى هذه الطوائف ، هو عنصر المهاجرين والأنصار ، وهنا تظهر عظمته ومهارته وقدرته فى موقفه من هذه الطوائف جميعا ، ذلك الموقف السياسى الرائع الذى جعله الرسول ، والسياسى ، والمجاهد ، والفاتح ، والذى امتاز به عن الرسل من قبله ، حيث كانوا يقفون فى رسالاتهم عند الدعوة الدينية يبلغونها للناس بالاقناع أو المعجزة ، حتى يتاح لها من الساسة وذوى السلطان من يدافع عنها ويحميها . فقد اتجه تفكيره الى تحقيق وحدة سياسية ونظامية ، أساسها حرية العقيدة ، وحرية الرأى ، وحرمة الحياة والحقوق . فالف بفضل الله بين قلوب الأوس والخزرج ، وقضى على هذه الفتنة الجامحة ، والحرب الطاحنة ، وآخى بين المهاجرين والأنصار ، وأحل الوحدة الدينية محل الوحدة القومية ، ونشر الديمقراطية التى تلاشت أمامها هذه الفوارق الجنسية التى مزقت شمل العرب ، واشاع الأخاء والعدل والرحمة . وبذلك اطمان الى وحدة المسلمين بهذه المؤاخاة ، وهى من غير شك حكمة سياسية تدل على سلامة تقدير وبعد نظر ، نستطيع أن نتبينهما مما كان يحاوله المنافقون فيما بعد من الوقيعة بين الأوس والخزرج ، وبين المهاجرين والأنصار لافساد أمرهم وبعث العداوة القديمة بينهم .

أما المهارة السياسيه العظيمة فهى التى تجلت فيما انتهى اليه الرسول من تحقيق وحدة يثرب ، وتوطيد نظامها السياسى بالاتفاق مع اليهود على أساس من الحرية والتحالف . فقد احسنوا استقباله املا فى استدراجه الى صفوفهم ، فردلهم التحية بمثلها ، ووثق صلته بهم وقربهم اليه ، وتودد الى رؤسائهم ، وجاملهم فى كل موقف حتى استحكم رباط الصلة والمودة بينه وبينهم وزاد من ذلك ما لمسوه وشاهدوه من جميل سيرته ، وكرم عشرته ، وحسن وفائه ، وسمو نفسه ، وفيض عطفه وبره .

وهكذا يصل الأمر بينه وبينهم الى عقد معاهدة صداقة وتحالف ، هى من

اجل المعاهدات التاريخية التى لا ينساها التاريخ ، والتى سجلها ابن هشام فى سيرته ، وهى وثيقة تتناول الأخاء بين المهاجرين والأنصار ، وترسم الحقوق والواجبات بين جميع سكان المدينة من المهاجرين اليها والمسلمين من اهلها ، واليهود وغيرهم من المشركين ، وقد جاء فيها عن اليهود : « ... وانه من تبعنا من يهود فان له النصر والأسوة غير مظلومين ، ولا متناصر عليهم ... وان اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين ، وان يهود بنى عوف امة مع المؤمنين ، لليهود دينهم وللمسلمين دينهم ... وان بطانة يهود كأنفسهم ، وانه لا يخرج منهم احد الا باذن محمد ... وان على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم ، وان بينهم النصر على من حارب اهل هذه الصحيفة ، وان بينهم النصح والنصيحة والبر دون الاثم ... وان يهود الأوس مواليهم وانفسهم على مثل ما لأهل هذه الصحيفة مع البر المحض من اهل هذه الصحيفة ، وان من خرج آمن ، ومن قعد آمن بالمدينة الا من ظلم واثم ، وان الله جار لمن بر واتقى »

وبهذه المعاهدة استطاع الرسول الكريم ان يوحد بين جميع المسلمين ، وان يوطد هذه الوحدة السياسية فى المدينة بالمساواة بينهم وبين اليهود فى المصلحة العامة ؛ كما فتح الطريق للراغبين منهم فى الاسلام ، وكفل لهم التمتع بما للمسلمين من حقوق.

ولكن اليهود هم اليهود فى كل زمن ، لا تثبت عيونهم على النور ، ولا تستقر قلوبهم على الصفاء ، ولا تهدأ نفوسهم الى الأمن والسكينة ، ولا تطمئن خواطرهم الى الوحدة والتضامن . لأن قلوبهم تنطوى دائما على الحقد ، ونفوسهم نزاعة أبدا الى الشغب والفتنة ، ولقد راعهم اقبال الكثيرين على الاسلام ، وشوكة المسلمين فى المدينة ، وغاظهم اسلام كبير احبارهم وعلمائهم : عبد الله بن سلام ، فوقعوا فيه واشاعوا عنه قالة السوء . وهكذا احسوا ان الرسول سيجذبهم اليه واحدا بعد الآخر ، وهم لم يعقدوا معه المعاهدة ، ولم يسالموه الا طمعا فى ان يضموه اليهم ويزدادوا به على النصارى قوة ومنعة . فاجمعوا امرهم على الكيد للنبى

ومناوأة دعوته ، وعلى زلزلة هذه الوحدة التى إقامها فى يثرب . فدسوا من بينهم من يظهر الاسلام ويجلس بين المسلمين ويجادل الرسول ، ويثير الشكوك والريب فيما يقول ليزعزع عقائد المسلمين ، وحاولوا ان يبعثوا الضغائن القديمة بين الأوس والخزرج ، فبعثوا من يمر بمجلسهم ويذكرهم ببعض ايامهم ، فهاج حفائظهم ، وكادوا يلتحمون فى حرب ، لولا حكمة الرسول وتداركه أمرهم ، حتى عادوا يعانق بعضهم بعضا . وكذلك حاولوا الوقيعة بين المهاجرين والأنصار . ولم يكتفوا بذلك بل فكروا فى ان يمكروا بالرسول نفسه فيجلوه عن المدينة بأقناعه بالذهاب الى بيت المقدس ، واخذوا يرجفون بأن من واجبه كالأنبياء قبله أن يذهب اليه ، وراحوا يتساءلون ويعجبون لهذا الذى يخالف دينهم ويتبع قبلتهم ، ومنهم من يقول : نحن علمنا محمدا قبلته ولولانا مادرى الى اين يتجه . فاوحى الله اليه ان يجعل قبلته الى المسجد الحرام : بيت ابراهيم واسماعيل .

وقد فطن المسلمون لدس اليهود فحشروهم فى زمرة المنافقين ، واعرض النبى عليه السلام عنهم ، ولكنه رأى ان يشعرهم بأن للمسلمين قوة تمكنهم من اخماد أية فتنة تقوم ، ورأى من وسائل هذا الأشعار ارسال السرايا والقيام بالمناوشات الحربية فى مختلف الأنحاء ، لتكون كقرع العصا لهؤلاء اليهود ، ولكنهم ظلوا سادرين فى طغيانهم ودسائسهم ، فلما افزعهم النصر العظيم الذى احرزه المسلمون ببدر ، راحوا يذيعون ان محمدا قد قتل ، وان اصحابه قد هزموا .

وما كاد المسلمون يعودون من بدر معتزين بالنصر ، حتى اخذوا يتغامزون ويأتمرون بهم ، وقلوبهم تمتلىء بالغل والضغينة . وعلى الرغم من أن المسلمين قد أدبوا بعض سفهائهم ، وصرعوا بعض زعمائهم ؛ فانهم لم يسكتوا عن محمد ولا عن المسلمين ، حتى فاضت النفوس .

قدمت امرأة من العرب الى سوق اليهود من بنى قينقاع ، ومعها حلية جاءت تبيعها الى صائغ منهم ، فجعلوا يريدنها على كشف وجهها فابت ، فجاء يهودى

من خلفها واثبت طرف ثوبها الى ظهرها، فلما قامت انكشفت سوأتها فضحكوا بها، فصاحت ، فوثب مسلم على الصائغ اليهودى فقتله ، وشد اليهود على المسلم فقتلوه ، ووقع الشر بين المسلمين وبنى قينقاع، واخذ الرسول يذكرهم بالمعاهدة والموادعة ، فيستخفون به ؛ فلم يكن بد اذن من قتالهم محافظة على كيان المدينة وسمعة المسلمين .

وقد خرج المسلمون فحاصروا بنى قينقاع فى دورهم خمسة عشر يوما ، حتى اضطروا للنزول على حكم الرسول وقضائه . فقرر الرسول بعد المشورة قتلهم ، ولكن بعض حلفائهم استشفع اليه فيهم ، فرضى الرسول على ان يجلوا عن المدينة جزاء لما صنعوه ؛ فخرجوا من المدينة اذلة صاغرين تاركين وراءهم السلاح وادوات الذهب ، وهكذا خلت المدينة من اليهود ، وهى النتيجة التى قصد اليها الرسول الحكيم بسياسته الرشيدة ، فليس أضر على الوحدة فى بلد من تنازع الطوائف فيه وقد اخطأ بعض المستشرقين فى نقد هذه السياسة ، لأن الحكمة تقتضى أخذ اليهود بهذا الحزم بعد توالى نقضهم للمعاهدة ، واعتدائهم على كرامة المسلمين وشرفهم فى حادث المرأة ، وهو من أكبر الحوادث التى تثور لها ثائرات العرب .

وكيف يصبر الرسول على نقض بنى النضير العهد وائتمارهم به ، حين جاء يستعينهم فى دية ، فأظهروا القبول ، وجلس هو إلى جدار بيوتهم ينتظر ، وهم يهمون بإلقاء حجر عليه من أعلى البيت ليقتلوه لولا ان نجّته السماء فسلم من كيدهم ؟

لقد خرج المسلمون إليهم فحاصروهم فى آطامهم ، وضيقوا عليهم ، حتى سألوا الرسول ان يجليهم ويكف عن دمائهم على ان يأخذوا معهم ما تحمل الإبل من المال إلا الدروع ، فأجابهم وجلوا عن المدينة . وهكذا يظهر لنا تقدير الرسول لما كان يخلقه بقاؤهم من إثارة الفتنة ، ونشر الشغب ، وإحداث القلق والفزع .

اى موقف من مواقف النذالة والخسة ، يبلغ موقف اليهود من بنى قريظة ، حيث واجهوا الرسول فى احرج اوقاته ، وساعة شدته ، بنقض العهد وانضمامهم

إلى الأحزاب ، وبلائهم الشديد فى هذه الغزوة ، ضد المسلمين ؟ لو انهم جاءوا الرسول بعد انتصاره وتشتت شمل الأحزاب وهزيمتهم ، فاعترفوا بخطئهم فى نقض العهد ، لوجدوا منه صدراً رحيباً ، وصفحاً كريماً ، ولكنهم هموا بمقاتلة المسلمين بعد ارتحال الأحزاب ، فلم يكن بد من قتالهم ، وهكذا تلاحق المسلمون حتى حاصروهم ، فلما تداءمتهم الشدة اختاروا حكماً إلى الرسول هو سعد بن معاذ ، فحكم فيهم بحكم الله ، وهو ان تضرب اعناقهم وتسبي ذراريهم ونساؤهم ، فكان ماحكم به سعد ، وهو حكم الله كما اخبر الرسول ، فماذا عسى ان يكون حال المسلمين لو قدرَ للأحزاب ان ينتصروا بمعونة هؤلاء اليهود الناقضين للعهد ؟

وهكذا نجحت سياسة الرسول عليه السلام فى اجلاء اليهود عن المدينة ، والقضاء عليهم ، حقناً للدماء ، وتوطيداً للسلام ، وتمكيناً للوحدة ، ومجانبة للشغب والفتنة ، وتهيئة لدعوته ان يضطرد سيرها ، ويستعلن صوتها ، وتبلغ غايتها ، فى جو من الأمن والنظام والصفاء . وهكذا وطد القضاء على اليهود للمسلمين فى المدينة ، حتى تحدثت العرب كلها بقوة المسلمين وسلطانهم ، وبمقام محمد وقوته ؛ وما كان صلوات الله عليه مسرفا فى سياسته معهم ، فقد صابرهم كثيراً ، ولكنهم طائفة لا ترعى ذمة ولا تقيم على عهد ، وما كان المسلمون فى حربهم معهم طلاب غنائم كما يزعم بعض المتعصبين ، فإن المسلمين الذين جاهدوا وصبروا وتخلوا عن اموالهم وأوطانهم واهليهم فى سبيل عقيدتهم ، ما كانت لتغريهم ثمار اليهود واموالهم ، ولكنهم جازوهم على خيانتهم ونقضهم ما عاهدوا الرسول عليه ، فمن نكث فإنما ينكث على نفسه ، وصدق الله ورسوله .

حسين جاد

المدرس بكلية اللغة العربية

أعلام الإسلام

الامام الحسين

رضى الله عنه

الكلمة القيمة التى ألقاها حضرة الأستاذ السيد محمد عرفة وكيل مسجد الامام الحسين رضى الله عنه فى حفلة افتتاح المولد الحسينى السنوى مساء يوم الأحد ١٩٥١/١/٢١

هو ريحانة الرسول . وسيد شباب أهل الجنة الشهيد المظلوم ، سليل بيت النبوة ورضيع لبان الحكمة . وسبط الرسول ﷺ . وسيد الشهداء فسلام عليه يوم ولد . وسلام عليه يوم استشهد . وسلام عليه يوم يبعث حيا .

وهو من أشرف الناس نسبا . واذكاهم أصلا وأطهرهم حسبا . (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً) . أبوه أمير المؤمنين على ابن أبى طالب رابع الخلفاء الراشدين . وابن عم الرسول . وأول مولود فى البيت الحرام . لم يولد قبله ولا بعده مولود فى بيت الله سواه . وأول الناس من الصبيان إسلاما . وقد أفاء الله عليه نعمة العلم والحكمة ، وكان أعلم الناس بالسنة وأقضاهم . عن معاذ بن جبل . قال : قال رسول الله ﷺ لعلى (تختصم الناس بسبع ولا يحاجك أحد من قريش : أنت أولهم إيمانا بالله . وأوفاهم بعهد الله وأقومهم بأمر الله . وأقسمهم بالسوية . وأعدلهم فى الرعية . وأبصرهم بالقضية . وأعظمهم عند الله مزية) وأمه سيدة النساء فاطمة الزهراء بنت إمام المتقين ورسول رب العالمين . وكانت تكنى بأم أبيها . وتلقب بالزهراء . وكانت أصغر بنات النبى ﷺ وأحبهن

اليه . وقد ولدت والكعبة تبنى ورسول الله ﷺ ابن خمس وثلاثين سنة . وقيل كان مولدها قبل البعثة بقليل . وقد تزوجها على فى أوائل المحرم سنة اثنتين من الهجرة . واتصل نسل النبى ﷺ من فاطمة رضى الله عنها دون غيرها من أولاده . وقد ولد الحسين رضوان الله عليه بالمدينة سنة أربع من الهجرة . وجاءت به أمه فاطمة فرحة قارة إلى أبيها ﷺ فاستبشر به وسماه حسيناوهو اسم لم يكن لأحد قبله . وقد عق عنه جده وحلق رأسه . وتصدق بزنة شعره ذهبا .

وقد جف لبن أمه فأرضعته أم الفضل : لبابة الكبرى بنت الحارث . زوج العباس بن عبد المطلب وأخت أم المؤمنين ميمونة : وأول امرأة اسلمت بعد خديجة رضى الله عنهما . أرضعته بلبن ابنها قثم . كما أرضعته أم قيس بن ذريح .

وكان النبى ﷺ شديد الحب للحسن والحسين لشوق فؤاده إلى الذرية من سلالته .

قال أنس بن مالك رضى الله عنه . سئل رسول الله ﷺ . أى أهل بيتك أحب إليك ؟ : قال : الحسن والحسين وعن أسامة بن زيد رضى الله عنهما عن النبى ﷺ أنه قال فى الحسن والحسين رضى الله عنهما وهما على ركبتيه (هذان ابناى وابنا بنتى . اللهم انك تعلم أنى احبهما وأحب من يحبهما) وكان يقول (هما ريحانتاى من الدنيا) وقد أمرنا الدين بمحبة الرسول ﷺ وأهل بيته قال رسول الله ﷺ (لا يؤمن احدكم حتى أكون أحب اليه من والده وولده والناس اجمعين) وقال الله تعالى (قل لا أسألكم عليه أجراً إلى المودة فى القربى) قال القرطبى : صحح المفسرون . أن المراد بالقرابة المذكورة فى هذه الآية الكريمة هم قرابته وأهل بيته . قال النبى ﷺ (من مات على حب آل محمد مات شهيدا . ومن مات على حب آل محمد جعل الله زوار قبره الملائكة والرحمة . ومن مات على بغض آل محمد جاء يوم القيامة مكتوبا بين عينيه أيسَ اليوم من رحمة الله ، ومن مات على بغض آل محمد لم يرح رائحة الجنة ، ومن مات على بغض آل بيتى فلا نصيب له فى شفاعتى) .

قال القرطبي وذكر هذا الخبر الزمخشري في تفسيره بأطول من هذا فقال .
قال رسول الله ﷺ (من مات على حب آل محمد مات شهيداً ، الا ومن مات على حب آل محمد مات مؤمنا ، مستكمل الإيمان . الا ومن مات على حب آل محمد ، بشره ملك الموت بالجنة ثم منكر ونكير ، الا ومن مات على حب آل محمد فتح له فى قبره بابان إلى الجنة ، الا ومن مات على حب آل محمد جعل الله قبره مزار ملائكة الرحمة ، الا ومن مات على حب آل محمد مات على السنة والجماعة ، الا ومن مات على بغض آل محمد جاء يوم القيامة مكتوبا بين عينيه أيسَ من رحمة الله ، الا ومن مات على بغض آل محمد مات كافراً ، الا ومن مات على بغض آل محمـــد ، لم يشم رائحة الجنة) وقال ﷺ فى حق آل بيته (انا سلم لمن سالمتم وحرب لمن حاربتم) وكان رضى الله عنه أشبه اهل البيت بجده المصطفى ﷺ فكان اشرق الناس وجها ، وأحسنهم خلقاً . قال عبد الله بن الحر الجعفى « ما رأيت أحداً قط أحسن ولا أملأ للعين من الحسين ، وكان فى صوته غنة حُسْن وكانت امه تلبسه قلادة من قرنقل ومحلب ، وتلبسه قميصاً أحمر » .

وقد عرض القرآن على أبيه ، وكان قد اسلمه إلى أبى عبد الرحمن السلمى عبد الله بن حبيب بن ربيعة الضرير مقرىء الكوفة ، والذى انتهت اليه القراءة تجويداً وضبطا . اخذ عن عثمان وعلى وابن مسعود وغيرهم ، وأخذ القراءة عنه الحسن والحسين وكان ابو عبد الرحمن يقرىء الناس فى المسجد أربعين سنة .

وقد قال رضى الله عنه (أخذنا القرآن عن قوم أخبرونا انهم كانوا إذا تعلموا عشر آيات لم يجاوزوهن إلى العشر الأخير حتى يعلموا ما فيهن فكنا نتعلم القرآن والعمل به . وانه سيرث القرآن بعدنا قوم يشربونه شرب الماء ، لايجاوز تراقيهم بل لا يجاوز ههنا ووضع يده على حلقه) .

وقد اخذ الحسين ايضا عن جده وأبيه وأمه وعن سادات الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين ، فكان أفضل اهل زمانه فى العلم والمعرفة بالكتاب والسنة ،

وكان الطيب محبباً اليه ، فكان المسك لا يفارقه فى حله وترحاله ، وبخور العود والند فى مجلسه .

واما آنيته التى يستعملها فأكثرها وَرْسى، وهو من خشب كالنضاد الأصفر، وشبه بالورسى لصفرته وقد درج رضوان الله عليه على الفتوة والفروسية وأغرى بركوب الخيل ، وكان له من كرائمها اليحموم ، وذو الجناح ، ولاحق .

وكان مجلسه رضى الله عنه ، مجلس وقار وعلم ، والناس من حوله يتحلقون ، يأخذون عنه ما يلقيه عليهم وهم فى خشوع كأن على رءوسهم الطير .

ولما خرج من المدينة إلى مكة وأقام بها وفد اليه الناس ، وكانوا يجلسون حوله ويستمعون لكلامه وينتفعون بما يسمعون منه ويضبطون ما يروون عنه ، وإلى الامام الحسين يرفع كثير من المتصوفة وأرباب الحكمة النصوص التى يدعمون بها مذاهبهم وآراءهم ، ويعولون عليها فى طرائقهم ، وقد واتاه الله اعنة الخطابة ، فكان طليق اللسان مشرق ديباجة البيان . ندى الصوت ، خلاب المنطق ، تتفجر ينابيع الحكمة على لسانه ، وتتدفق سيول الموعظة حول بيانه ، لا يتلكأ فى منطقه ولا يتلجلج ، إذا ما عن له أمر تدفق تدفق اليعبوب ، وملأ الأسماع والقلوب .

ومن خطبه فى فتنة معاوية . قال :

« يا أهل الكوفه انتم الأحبة الكرماء . والشعار دون الدثار . جدوا فى إطفاء ما وتر بينكم ، وتسهيل ماتوعر عنكم . ألا إن الحرب شرها مريع . وطعمها فظيع . فمن أخذ لها أهبتها واستعدلها عدتها ، ولم يألم كلومها قبل حلولها . فذاك صاحبها . ومن عاجلها قبل أوان فرصتها واستبصار سعيه فيها . فذاك قمن أن لا ينفع قومه . وأن يهلك نفسه . نسأل الله أن يدعمكم بالفيئه . ثم نزل .

أما كتبه فانه رضى الله عنه كان فيها سهل العبارة . حسن التحبير : كتب إلى أهل البصرة « أما بعد: فإنى أدعوكم إلى إحياء معالم الحق. وإماتةالبدع : فإن تجيبوا تهتدوا سبل الرشاد . والسلام »

وسئل كيف اصبحت يا ابن رسول الله ؟ . قال : « أصبحت ولى رب فوقى .

والنار أمامى ، والموت يطلبنى ، والحساب محدق بى . وأنا مرتهن بعملى . ولا أجد ما أحب . ولا أدفع ما أكره . والأمور بيد غيرى فإن شاء عذبنى . وإن شاء عفاعنى فأى فقير أفقر منى » .

وقال رجل فى مجلسه رضى الله عنه . إن المعروف إذا أسدى إلى غير أهله ضاع . فقال الحسين : « ليس كذلك ، ولكن تكون الصنيعة مثل وابل المطر تصيب البر والفاجر » .

وقال لرجل اغتاب عنـــده رجلا . « ياهذا كف عن الغيبة ، فانها إدام كلاب النار » .

وقال « خمس من لم تكن فيه . لم يكن فيه كثير مستمتع — العقل . والدين والأدب . والحياء . وحسن الخلق »

وقال « العاقل لا يحدث من يخاف تكذيبه ولا يسأل من يخاف منعه . ولا يثق بمن يخاف غدره . ولا يرجو من لا يوثق برجائه » .

وقال « إذا سمعت أحداً يتناول أعراض الناس فاجتهد ألا يعرفك . فإن أشقى الأعراض به معارفه » .

وقال رضى الله عنه « إن الناس عبيد الأموال . والدين لعقة على ألسنتهم يحوطونه مادرت به معايشهم . فاذا محّصوا بالابتلاء قل الديانون » .

وقيل له يوماً . ما أعظم خوفك من ربك ؟ فقال « لا يأمن يوم القيامة إلا من خاف الله فى الدنيا » .

وقال لابنه على رضى الله عنهما « أى بنى : إياك وظلم من لا يجد عليك ناصراً إلا الله عز وجل »

وتضافرت النقول على كرمه وسخائه . فكان لا يرد طالباً . ولا يمنع سائلا . يكرم ضيفه ، ويصل رحمه . ويشبع الجائع . ويكسو العارى . ويدفع حاجة المحتاج . وقل أن وصله مال الا وفرقه .

جاءه رجل من الأنصار يريد أن يسأله حاجة . فقال « يا أخا الأنصار . صن

وجهك عن ذلة المسألة . وأرفع إلىّ حاجتك فى رقعة . فإنى آت فيها ماهو سارك إن شاء الله تعالى » فكتب « يا أبا عبد الله إن لفلان علىّ خمسمائة دينار . وقد ألح بى . فكلمه فى أن ينظرنى إلى ميسرة » فلما قرأ الحسين الرقعة دخل إلى منزله فأخرج صرة فيها ألف دينار . وقال له : « أما خمسمائة فاقض بها دينك . واما خمسمائة فاستعن بها على دهرك . ولاترفع حاجتك إلا إلى أحد ثلاثة : إلى ذى دين . أو مروءة . أو حسب . فأما ذو الدين . فيصون دينه . وأما ذو المروءة . فانه يستحي لمروءته . وأما ذو الحسب . فيعلم أنك لم تكرم وجهك أن تبذله فى حاجتك . فهو يصون وجهك أن يردك بغير قضاء حاجتك » .

وأسلم رضى الله عنه ولدا له إلى معلمه ابى عبد الرحمن السلمى . فعلمه الفاتحة . فلما قرأها على أبيه . أعطى معلمه ألف دينار . وحشافاه درا . فقيل له فى ذلك فقال : « وأين يقع هذا من عطائه » يعنى تعليمه . وأنشد رضى الله عنه :

إذا جادت الدنيا عليك فجد بها على الناس طرآ قبل أن تتفلت
فلا الجود يغنيها إذا هى أقبلت ولا البخل يبقيها إذا ما تولت

وكان رضى الله عنه يعيش فى بيته عيشة الرغد والرفاهية. إذ أنه كان ممن يحبون أن يظهروا آلاء الله المترادفة . ونعمه المتتابعة . فهو ممن لا يحرمون طيبات ما أحل الله لعباده . فكان رافه الأدم . كثير الخدم والحشم . وهو برغم ذلك لم يكن حريصاً على المال ولا مغرى بجمعه وادخاره . بل كان سبط اليدين . سمح الكفين جواداً كريماً . يشبه فى جوده جده المصطفى ﷺ ، وقد عاش الحسين رضى الله عنه سبعاً وخمسين سنة ، وكان فى حياته قريع دهره وواحد عصره ، لم يقابله احد إلا وقد ملىء صدره هيبة واجلالا ، يفخمه قومه ويبجلونه ، وما جرؤ احد ان يلحق به ما يذم من اجله . بل اجمع الكل على شرف نفسه ، وانفته ، وحميته رضى الله عنه وارضاه ، وأدامنا على محبته ، وحشرنا فى زمرته ، مع الذين أنعم الله عليهم ، من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، وحسن أولئك رفيقاً .

تحية مصر لعاهل الجزيرة العربية
فى عيد جلوسه

الحديث الذى أذاعه حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الكبير الشيخ سيد زهران مراقب عام الشئون الدينية يوم ٨ / ١ / ١٩٥١ .

ان اسعد الأيام وأمجدها ، وأبقاها على الزمان وأخلدها ، يوم يحمل فى أطوائه أعز الذكريات وأسماها ، وأكرمها وأغلاها .

وانما يقاس جلال الذكرى بما سجلته من أعمال مجيدة ، عميمة النفع باقية الأثر ، فأيام الملوك أيام مجيدة غراء فى جبين التاريخ ؛ لأنها تعلن عن صفحات جديدة من حياة الشعوب مليئة بما حققه ملوكهم من اصلاح ، وما هيأوه لهم من عيشة آمنة سعيدة ، وحياة مستقرة كريمة .

وأيام جلوس الملوك على عروشهم ، فى مقدمة هذه الأيام اكبارا واعزازا ، لأنها الحد الفاصل بين حياة التأهب وحياة التوثب ، وحياة الاعداد ، وحياة الاسعاد وحياة الأمل وحياة العمل .

وكلما مر عام تلألأ ضياء الذكرى بما سطر التاريخ من صفحات مشرقة ، تتسم بطابع الملوك ، وما حباهم الله به من مقومات ومكرمات ، وما حاطوا به شعوبهم من مظاهر الحدب ، والعمل على ما فيه اسعادهم .

وما حفاوة الشعوب بهذه الأعياد ، الا تقدير منهم لملوكهم ، ووفاء بواجب الاخلاص والولاء لهم ، واذا كان أخواننا العرب فى المملكة العربية السعودية ، يمجدون اليوم ذكرى جلوس عاهلهم العظيم ، على عرش هذه المملكة المترامية الأطراف ، فانه يسرنا أن نشاركهم فى هذا التمجيد ، ونساهم بنصيب متواضع

فى الحفاوة بهذه الذكرى ، لتعلن للعالم على موجات الأثير ، أن العرب فى سائر الأقطار أمة واحدة ، تتجاوب عواطفها ، وتتلاقى أصداء سرورها ، وتتبادل الغبطة بذكرياتها السعيدة .

ففى مثل هذا اليوم الأغر الميمون ، جلس على عرش الجزيرة العربية ، حضرة صاحب الجلالة الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن بن الفيصل بن تركى بن عبد الله بن عبد العزيز بن محمد بن سعود ، واليه ينسب البيت المالك ، وجلالته عربى من صميم العرب ، تميمى من ذلك البيت الواضح فى قبيلة آل مقرّن .

ولد أطال الله عمره بالرياض ، من والدين كريمين ، وبدأ يتلقى العلوم فى صباه على مشايخ بلدته ، ثم رافق والده الامام عبد الرحمن ، فى رحلاته وحروبه وغزواته ، فأفاد من مصاحبته فائدة كبرى ، فشب بطلا مقداما ، عالماً فقيهاً ، ملماً باخبار العرب وأيامهم .

وكانت الرياض يومئذ مسرحا لوقائع حربية طاحنة ، بين ابن الرشيد وآل سعود ، انتهت باستيلاء ابن الرشيد عليها ، فلجأ آل سعود إلى الكويت حيث نزلوا ضيوفا على أميرها : مبارك الصباح .

وتفتحت عينا عبد العزيز وتنبه وعيه . وأسرته بعيدة عن وطنها المغصوب ، فآلى على نفسه أن يسترد مسقط رأسه وموطن أسرته ، فاقدم يدبر الخطط غير هياب ولا وجل ، وفى قلبه رجولة الشباب أو شباب الرجولة .

وهنا يروى التاريخ من الأنباء ما يكاد يشبه الأساطير ، ولولا ان رواتها موضع الثقة ، والصدق والأمانة ولا يزالون احياء يتناقلونها فى اعجاب واكبار ، واعزاز وفخار ، ما كان الى قبولها من سبيل .

وهل حدثنا التاريخ من قبل ، ان قائداً يقدم فى اربعين رجلا على فتح بلد كالرياض ، منيعة بحصونها وجندها وأميرها ، اللهم انه التفانى فى سبيل الحق والعقيدة والوطن ، يدك الحصون وينصر القلة على الكثرة « كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين » .

ولم تمض فترة طويلة حتى اسلمت الرياض قيادها للبطل العظيم عبد العزيز ، فدخلها ظافراً منتصراً ، فى ١٥ يناير سنة ١٩٠٢ ولم يكد يتم هذا الفتح ، حتى تطلع الى تكوين مملكة عربية موحدة ، تضم شتات الجزيرة العربية ، التى فرقتها الخصومات والدسائس ، والوشايات والاستعمار ، والتى كانت محكومة بسلطات متعددة ، فنجد فى الجنوب بين آل سعود بالرياض وآل الرشيد بالقصيم . وتهامة فى الشمال تحت امرة ولاة من الأتراك او اليمن او الادارسة . والحجاز بينهما تحت امرة الاشراف . والحسا فى الشرق على الخليج الفارسى تحت حكم الأتراك فبدأ بضم القصيم بعد ان هزم آل الرشيد سنة ١٩٠٦ وبذلك دانت له نجد ، وصار اميرها ، وفتح الحسا سنة ١٩١٣ وضم تهامة سنة ١٩٢١ واستولى على الحجاز سنة ١٩٢٥ ، وبذلك آلت إليه سلطنة نجد وملك الحجاز وما حولها ، ونودى به ملكا على الحجاز وسلطاناً لنجد فى ٨ يناير سنة ١٩٢٦ .

ولم يكد يجلس جلالته على عرشه حتى اخذ ينظم الاداة الحكومية فى البلاد ويطفىء نار الثورات والفتن الداخلية ، حتى اذا استتب له الأمر ، واطمأن إلى ان الهدوء والاستقرار قد سادا اطراف المملكة ، أعلن فى سنة ١٩٣٢ توحيد جميع الولايات الخاضعة لجلالته ، وأطلق عليها أسم المملكة العربية السعودية ، وأصبحت هذه المملكة ذات أوضاع سياسية وحدود جغرافية تحد شرقا بامارتى قطر وعمان على الخليج الفارسى ، وغربا بالبحر الاحمر ، وشمالا بالعراق وشرق الاردن ، وجنوبا باليمن والربع الخالى . ومساحتها مليون وستمائة الف كيلومتر مربع وعدد سكانها سبعة ملايين تقريبا .

وقد نظر جلالته بخبرته الواسعة ، إلى حالة هذه المملكة الناشئة ، فوجدها شعوباً وقبائل ، الفت حياة البداوة ، وأشربت فى قلوبها البغضاء والعداوة . واستمرأت الاعتداء وسفك الدماء ، والأخذ بالثار ، دون مارادع ولا زاجر ، وانصرفت عن العمل وركنت الى التواكل والكسل ، تقنع بشظف العيش ، ولا تفكر فى النهوض ، واستثمار مافى البلاد من خيرات ، بعيدة عن مناهل العلم متخلفة عن ركب الحضارة ، وانها اشبه ما تكون بحالة العرب قبل الاسلام .

فرأى حفظه الله بسليم فطرته ، وما طبع عليه من خلق كريم ، ودين قويم ،

ان هذه الأمة لا يصلح آخرها إلا بما صلح به اولها ، فأعلن فى انحاء مملكته ، ان دستورها هو الكتاب والسنة ، وان شريعة الاسلام هى الحكم فى شئون هذه الأمة ، تطبق احكامها فى الأنفس والأموال والثمرات ، فانشأ المحاكم الشرعية من ثلاث درجات . المحاكم المستعجلة وتنظر فى القضايا المالية التى لا يتجاوز نصابها ثلاثين جنيهاً ، وفى الجنح والجنايات التى لا تصل العقوبة فيها إلى حد القطع او القتل ، والمحاكم الكبرى وتنظر فى القضايا التى تجاوز ذلك . وهيئة المراقبة القضائية وتنظر فى استئناف احكام الهيئتين السابقتين .

ويقوم على تنفيذ هذه الأحكام إدارة الأمن العام ، التى عنى بها جلالته عناية كان من اثرها ان اصبحت البلاد مضرب الأمثال فى استتباب الأمن والبعد عن ارتكاب الجرائم مما امن الوافدين إلى بيت الله الحرام من كل فج عميق على اموالهم ودمائهم .

وحرص جلالته على تثقيف شعبه وتعليمه ، لأن العلم اساس الحضارة والرقى، وسياج الأخلاق ، فانشأ المدارس الأولية فى القرى ، والابتدائية والثانوية فى العواصم والمدن ، ومعهد التخريج المدرسين الأكفاء ، ودار التوحيد بالطائف لتخريج القضاة ، وأوفد البعوث العلمية إلى خارج البلاد ، للتزود من ينابيع المعارف المختلفة ، ومدرسة نموذجية بالطائف لتعليم ابناء الأمراء بجانب ابناء الشعب ، بثاً لروح الديمقراطية والمساواة ، ورأى جلالته ان المال عصب الحياة فانشا وزارة المالية للنهوض بإيرادات الحكومة والسهر على مصروفاتها . وتتكون الإيرادات، من الزكاة ورسوم الجمارك ، والمحاجر الصحية ، والقضاء ، والسيارات وطوابع البريد ، واجور البرق واستثمار المعادن ، وسك النقود وحصة الحكومة من شركات البترول ومناجم الذهب .

واهتم جلالته بأن يكون اساس حكمه الشورى طبقاً لتعاليم الدين الحنيف ، فالف مجلس الشورى برياسة صاحب السمو الملكى الأمير فيصل ، النائب العام لجلالة الملك ووزير الخارجية ، ورئيس مجلس الوكلاء ، لينظر فى إصلاح شئون البلاد .

كما اهتم جلالته بشئون الدفاع فالف جيشاً وكل قيادته لصاحب السمو الملكى

الأمير منصور ، وزير الدفاع ، وزود هذا الجيش بأحدث الأسلحة والمعدات الحربية ، من طائرات ودبابات مصفحات ، ومدافع وعتاد .

وأعطى الشئون الخارجية مزيداً من عنايته فوثق العلاقات بينه وبين الدول الأخرى ، وارسل ممثليه السياسيين الى العواصم الكبرى ، فله سفير فى لندن ، ووزير مفوض فى كل من واشنطن ومصر وانقره والعراق وسوريا ولبنان ، وقنصليات فى السويس والقدس والبصرة . هذا قليل من كثير من إصلاحاته الشاملة التى قام بها للنهوض بأمته . وإذا كان يبدو ان نجاحه فيها يرجع الى خبرة جلالته وفطنته ، وهمته وسعة اطلاعه ، فان العامل الأول فى هذا النجاح اخلاقه وسجاياه ، وحسن معاملته لرعاياه ، فهو حليم كل الحلم ، متواضع جم التواضع ، جمع القلوب حوله بعفوه وصفحه ، وكرمه واحسانه ، وتسامحه مع أعدائه ، حتى جعلهم من أنصاره وأوليائه ، فقد قرب خصومه من آل الرشيد والأدارسة وغيرهم ، بعد أن انتصر عليهم ، فآواهم واكرم مثواهم ، وحسبك فى تواضعه وحسن سياسته قوله ، كبيركم والد ، ووسطكم أخ ، وصغيركم ابن .

أيها السادة: اذا كنا نحتفل اليوم بالعيد الفضى لجلوس عاهل الجزيرة على عرش المملكة العربية السعودية ، فاننا نحتفل بميلاد أمة كونها ذلك الملك العظيم ، فى فترة لا تعد شيئاً مذكوراً فى عمر الأمم ، واذا قسنا المستقبل بالماضى ، فاننا نأمل الا يمضى زمن طويل ، حتى نرى الجزيرة العربية فى مقدمة البلاد المتحضرة نهوضاً وتوثبا الى المجد .

وانى انتهز هذه الفرصة لأرفع الى مقام جلالته ، والى أصحاب السمو الأمراء انجاله الأماجد ، والى الأمة العربية الكريمة — خالص التهنئة بهذا العيد السعيد راجياً لجلالته حياة مديدة سعيدة ، تظلها روح الأخوة الصادقة والمودة الطاهرة ، التى يكنها جلالته لحضرة صاحب الجلالة مولاى الملك المعظم « فاروق الأول » ملك وادى النيل ، أيد الله عرشه ، وأطال عمره ، وبارك على عهده

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

خطر المماطلة
فى أداء الحقوق على المجتمع

الحديث الذى أذاعه حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ عبد الله المراغى مدير المساجد مساء يوم ١٩٥١/١/٢

بسم الله الرحمن الرحيم

الإسلام دين وشريعة ، رسم هديه الكريم وقرآنه العظيم للناس أصول مجتمع صالح قويم ، يؤمن أفراده بالله ، ويدينون بالحق ، ويتعاونون على الخير ، ويتعاملون بالعدل والقسطاس ، قال تعالى « قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين ، يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ، ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ، ويهديهم إلى صراط مستقيم » ومن أجل ماشرع الإسلام للمؤمنين ، وحاط به وحدة المسلمين ، قاعدة جليلة ، وسنة صالحة كريمة ، لو أقام الناس حقها ، واتبعوا هديها لسادت الثقة بينهم ، واطمأن بعضهم إلى بعض ، فأتلفت قلوبهم ، وأصبحوا بتعاونهم سعداء ، وبوفائهم وصدق معاملتهم مفلحين ، قال عز من قائل « يأيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود » فكل ما التزمت به لأخيك ، ووثق به منك ، واطمأن فيه إليك ، فذلك عقد ، أنت مسئول عنه أمام ربك ، قد أوجب عليك أن توفى به لتحافظ على كلمتك ، وتحقق الثقة بذمتك ، فإن الثقة رأس مال كبير ، يسهل للمرء طرق أبواب التجارة وان كان ماله قلا ، وتقرب إليه جيوب

الناس وخزائنهم وان لم يكن مليا . فان مما يحقق الثقة بالمرء أداءه لحقوق الناس ، ولو لم يكن من كبار المثرين ، ومما يزلزل الثقة به أو يزيلها تلكؤه فى أداء الحقوق ولو كان فى مقدمة الأغنياء الموسرين . ولذلك حذرنا رسول الله ﷺ من المماطلة ، التى تنزع الثقة بالمرء من نفوس معامليه ، وتسقط منزلته بين أصدقائه ومخالطيه ، فقال ﷺ « مطل الغنى ظلم ، وإذا أتبع أحدكم على ملىء فليتبع » فالذى يؤخر أداء ما يلزمه من الحقوق وهو قادر عليها ، ميسور له قضاؤها ، فهو مماطل وظالم لأصحاب تلك الحقوق ، لأن العدل كما عرفه علماء الأخلاق ، إعطاء كل ذى حق حقه . فالمماطل ظلم غيره بتأخير حقه بدون عذر ، بل ظلم نفسه إذ حرمها الثقة . وعرضها للطعن والتجريح فى الحياة الدنيا ، ولعقوبة الله فى الحياة الأخرى . فمن كان مديناً فى تجارة أو فى متاع اشتراه ، أو فى مال اقترضه أو كان قِبله حقوق لمواطنيه أو لمن تحت يده ، أو والده أو ولده أو قريبه أو خدمه ، أو كان عليه زكاة أو ضريبة مشروعة ، وحل موعد الدفع وتلكأ والمال فى جيبه أو تحت يده ، كان من الظالمين ، ومتبعاً غير سبيل المؤمنين .

وان من الفقهاء من يوجب عليه العمل بيديه ما دام قادراً ليكتسب من عمله ما يؤدى به الحقوق التى تلزمه ، وان لم يفعل ذلك كان من المقصرين ، ولهدى رسول الله ﷺ من المخالفين ؛ ومن أتبع على غنى فليتبع ، يحرص الرسول الكريم وهو بالمؤمنين رءوف رحيم ، على تمكين السلام فى أمته ، وتقوية المحبة بينهم ، فيرشدهم إلى ان من عجز عن أداء ما يلزمه من الحق ، ووجد من الأغنياء من يوفى به ، فعلى صاحب الحق ان يتبع الذى أحيل عليه بالمطالبة ، تيسيراً على أخيه ، وتخفيفاً عنه حين عجز ان يوفيه . وفى ذلك ما يقطع سبيل الشقاق ، ويحسم أسباب الخصومة بين المسلمين ، وتكليف لهم بأن يبنوا معاملتهم على الوفاء والصفاء ، حتى لا يماطل موسر ولا يرهق معسر .

لقد فرض الله على المؤمنين ان ينصفوا من أنفسهم ، وان يكونوا صادقين فى مودتهم ، عادلين فى خصومتهم ، فقال جل شأنه « ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها إلى الحكام ، لتأكلوا فريقاً من أموال الناس بالاثم وأنتم تعلمون » فقد نهى القرآن عن أكل مال الغير من طريق المخاصمة فى القضاء ، وقد عبر فى إيجازه واعجازه عن ذلك بقوله سبحانه : « ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل » ليبين أن أكل مال الغير بالباطل جناية على نفس الآكل، من حيث هو جناية على الأمة التى هو أحد أعضائها ، ولا بد أن يصيبه سهم من كل جناية تقع عليها ، فهو باستحلاله مال غيره ، يجرئ غيره على استحلال أكل ماله عند الاستطاعة .

ويدخل فى ذلك التعدى على حقوق الناس ، بتسخير بعضهم فى عمل لا يعطيه عليه أجرا ، أو يعطيه أجراً منقوصاً ، وكذلك شتى ضروب الغش والاحتيال ، وما يلجأ إليه بعض المتعاملين من التدليس والتلبيس ، وقد نصت الآية على تعميم النهى عن كل ظلم ، وحرمت كل أخذ باطل لأموال الآخرين . ثم صرحت بتحريم ذلك من طريق المخاصمة والقضاء ، اشعارا للناس بأن احتيالهم فى الخصومة وبراعتهم فى تلفيق الأسباب ليظفروا بحكم يقضى لهم بشئ من حقوق غيرهم ، لا يحل لهم شيئاً من هذه الحقوق ، ولا ينجيهم من الاثم والعقاب . وليسمعوا فى ذلك قول رسول الله ﷺ ، فانه يرفع كل شبهة ويقطع كل اعتذار ، قال ﷺ « إنما أنا بشر ، وإنكم تختصمون إلى ، ولعل بعضكم ان يكون ألحن بحجته من بعض ، فأقضى له بنحو ما أسمع ، فمن قضيت له من حق أخيه شيئاً فلا يأخذه ، فإنما أقطع له قطعة من النار »

وكم من ثروة نفدت ، وبيوت خربت ، ونفوس اهينت ، وجماعة فرقت ، وما كان لذلك من سبب إلا الخصام والادلاء بالمال إلى الحكام ، ولو تأدب هؤلاء

لا لبس فيها ولا ابهام ، نقلها المؤرخون الثقات ، وتداولها كتاب السير والطبقات كابرا عن كابر ، فيقول فى كتابه « حياة محمد » : « اننا لانجد سجلات معاصرة لحياة موسى ، او كونفوشيوس ، او بوذا ، وكذلك الشأن فى المسيح ؛ فان كل الذى نعرفه عن حياته لا يمت بصلة للثلاثين سنة التى مهدت الطريق للسنوات الثلاث التى بلغ فيها اوجه » .

« اما عن محمد ﷺ ؛ فان سيرته واضحة كل الوضوح ، فهنا نجد التاريخ الحقيقى الذى لا لبس فيه ولا ابهام ، ولا غموض ، ونعرف الشىء الكثير عن محمد كما نعرف عن رجال اقرب ما يكونون إلى عصرنا ؛ فلم يكن تاريخه الخارجى ولا حياته فى شبابه وبين اقاربه خرافة من الخرافات ، ولا اسطورة من الأساطير ، ولا شائعة من الشائعات ، وما كان تاريخه الداخلى بعد ان اعلن رسالته رواية مبهمة لداعية غامض ، بل بين ايدينا كتاب معاصر وحيد فى سلامته ، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه » .

وينبرى « توماس كارليل » فى كتابه « البطولة والأبطال » لتجبيه من يفترى الكذب على الإسلام وعلى رسول الإسلام ، ويندد بأولئك الحمقى من الكتاب الذين نطحوا صخرة الإسلام الشماء فلم يضيروها فيقول :

« لقد اصبح من اكبر العار على اى فرد متمدين من ابناء هذا العصر ان يصغى إلى مايرجف به المرجفون ، وما يروجه المغرضون من ان رسالة محمد ﷺ مفتراة وانه خداع مزور ، وآن لنا ان نحارب ما يشاع من هذه الأقوال السخيفة المخجلة ؛ فان الرسالة التى اداها ذلك النبى العربى ما زالت السراج الوهاج المنير مدة اثنى عشر قرناً لنحو مائتى مليون من الناس امثالنا ، خلقهم الله الذى خلقنا ، افكان احدكم يظن ان هذه الرسالة التى عاش بها ومات عليها هذه الملايين الفائتة الحصر اكذوبة وخدعة ؟ اما انا فلا استطيع ان ارى هذا الرأى ابدا ، ولو ان الغش والكذب يروجان عند خلق الله هذا الرواج ويصادفان منهم مثل ذلك التصديق والقبول ، فما الناس إلا بله ومجانين » .

« وما الحياة إلا سخف وعبث واضلولة ، كان الأولى بها ألا تخلق ! ! ! » .

ويتعرض «انى بيزانت» فى «كتابه جمال الاسلام» للظروف القاسية التى بعث فيها رسول الله، وللصفات النبيلة التى مكنته من النهوض بمهمته، وتبليغ رسالته فى هذه البيئة المظلمة فيقول:

«لقد لاقى الإسلام كثيرا من الشدائد كما لاقت جميع الديانات من قبله إلا انه يختلف عنها فى امر له اهميته العظمى، فتاريخ من حمل رسالته لم تشبه شائبة، وكان مولده فى القرن السادس الميلادى، ولا يجهل الكثير من تاريخ حياة هذا النبى العظيم، وما امتاز به من البساطة والشجاعة والنبل، فقد ولد فى عصر كله شدائد، وكانت تحيط به ظروف قاسية، وظهر بين شعب كان غارقا فى الخرافات، فكان بينهم كمصباح ينبعث منه نور، فيبدد ما حوله من ظلام، وقد اختاره الله لأن يحمل رسالته، ولقبه جميع اهل مكة — منذ صغره — بالصادق الأمين، وعرف عنه ان الأطفال كانت تهرع إليه من كل صوب حين يرونه لمحبتهم له، وتعلقهم به وفى هذا ما يدل على سماحته، وان فى هذا الحب والولاء والشهادة له بالصدق والأمانة من كل من خالطه لخير شاهد على ان عناصر الشجاعة والقيادة والارشاد قد اجتمعت فيه، وكونت منه شخصية فذة».

ويتناول «السير وليام ميور» فى كتابه «حياة محمد» شخصية الرسول من الناحية الخلقية بالتحليل فيقول:

«ومن صفاته الجديرة بالتنويه: الرقة والاحترام اللتان كان يعامل بهما اتباعه حتى اقلهم شأنا، فالتواضع والرأفة والأناة وانكار الذات، والسماحة والسخاء تغلغلت فى نفسه ودفعت به إلى محبة كل من حوله. كما يكره ان يقول لا، فان لم يمكنه ان يجيب الطالب لسؤله فضل السكوت عن الجواب، وقد قالت عائشة انه كان اشد حياء من العذراء فى خدرها، وكان اذا ساءه شىء تبيناه فى اسارير وجهه اكثر من كلامه، ولم يمس احد بالضرر إلا فى سبيل الله، ويؤثر عنه انه كان لا يمتنع عن إجابة دعوة إلى بيت مهما كان حقيرا، او يرفض هدية مهداة اليه، مهما كانت صغيرة، وإذا جلس إلى صاحبه لم يرفع نحوه ركبتيه تشامخاً منه وكبرا وكانت له تلك الخلة النادرة التى يجعل بها كل فرد من صحابته يظن انه المفضل

المختار ، وكان يرثى كثيرا للثكلى والمنكوبين . كما كان سهلا لين العريكة مع الاطفال ، لا يأنف إذا مر بطائفة منهم يلعبون أن يقرئهم تحية الإسلام ، وكان يشرك غيره فى طعامه حتى فى اوقات العسر والاملاق ، ويهتم جهد طاقته بتوفير اسباب الراحة لأنصاره وتابعيه ، وكان صديقا وفيا ، احب ابا بكر محبة الشقيق الودود ، وعليا محبة الأب الرءوف ، ومما يذكر ان زيدا الذى كان عبدا لخديجة كان متعلقا بالنبى تعلقا شديدا لعطفه عليه حتى انه آثر البقاء بمكة على ان يعود لبلده مع أبيه ، وتعلق بأهداب النبى قائلا لست تاركك — وقد كنت لى ابا بارا عطوفا ، وقد بقيت صداقة محمد صلى الله عليه وسلم هذه الى ما بعد موت زيد حيث عامل اسامة ابنه معاملة كريمة ، ممتازة اكراما لأبيه » .

كذلك كانت علاقته بعثمان وعمر مشبعة بروح المودة والولاء . . وكان محمد فى استعماله الحكم المطلق عادلا ، فلم يجنح للاستبداد ، ولم تكن له حاشية ، ولم يتخذ وزيرا ، ولا حشما ، ولم يعوزه الرفق بأعدائه اذا ما دانوا له بالطاعة ، وقد كان دفاع مكة العنيد الطويل المدى ضد دعوته مما يحمله عند فتحها على ان يعبر عن سخطه بآثار لا تمحى من دم ونار ، ولكنه اصدر عفوا عاما ملقيا بذكريات الماضى من سخرية وإهانة واضطهاد فى زوايا النسيان ، وعامل حتى ألد اعدائه ، بكل كرم وسخاء ، ولم تكن السماحة التى ابداها لعبد الله بن سلول وأهل مكة الخارجين عليه بأقل من ذلك ظهورا وهم هم الذين ناصبوه العداء سنين ، وامتنعوا عن الدخول فى طاعته ، كما ظهر حلمه وصفحه حتى فى ساعة الظفر والانتصار .

وبعد فقد بلغت اقصى ما خصص لمقالى فى هذا العدد من المجلة ، ولهذا آثرت ان اسرد اقوال من تعرضت لهم من المستشرقين دون تعليق . وانى ارفع اكف الضراعة والابتهال الى الله ان يجزى عنا سيد الرسل خير الجزاء ، وان يجعل شفيعنا اليه ما انطوى عليه قلبنا من الحب والولاء .

رضوان الله رجب البيلى

امام وخطيب ومدرس مسجد القاضى يحيى ببولاق

رسول الله

رسول الله اوضحتَ السبيلا   فكنت لعزّة الدنيا كفيلا
فما أقوى وأقومَ ما اطمأنّت   اليه منازلٌ سعدت حلولا
تولّيك السماءُ شؤونَ أرض   كفى بك في سياستها وكيلا
كفلت نظامها بالدين حدًّا   وصلت به الهدى وصلا جميلا
وأحييتَ العقول بروح علم   ويُحيي الناس من يُحيي العقولا
وملتَ على فساد الأرض رحمى   بميزان العوالم أن تميلا
هدمتَ (اللات والعزّى) بكبرى   عزائمَ لن تزل ، ولن تزولا
ورعتَ (الأسود العنسيّ) حتى   مضى بإرادةٍ زادت فلولا
وهلتَ مواقف (الكذّاب) حتى   أقر لك النبوّة مستنيلا
وطاردتَ الجهالة مستعزا   بنور الحق تكتشف السبيلا
مغيراً (بالكتاب) على زمان   تمثّل بالخنا ذئبا صؤولا
كتاب يكفل الدنيا نظاما   فوفّاها القواعد والأصولا
هو القرآن مرآة بصرنا   به من كل مكرمة قبيلا
هو الجند الإلهيّ استمدّوا   به في كل متّجه دليلا
وسرٌّ باعث في كل أفق   كواكبَ لا عهدتُ لها أفولا
وروح أن تشرّبها أديبٌ   فقد بلغ الجبال الشمّ طولا
وآيات إذا ما استوعبوها   أزاحت علّة وشفت غليلا
رأى المستشرقون بها علوماً   تتابع فيضها جيلا فجيلا
فرادوها بترجمة ونقل   فما أحلى التراجم والنقولا
وما أقوى دلائله كتاباً   يد الأجيال تبسطه فصولا

***

رسول الله : همّتك استقلّتْ مواطنَ تستخفّ المستطيلا
وقد صعبتْ على سيفٍ ونارٍ فأصغرت القذائف والنصولا
فأين (مدافع الحلفاء) منها وأين الرجف قطّاعاً وَصولا
وأين (شرانبل) وصفوف حرب تعبّ الموت تحسبه (كحولا)
وأين الظلم من مأثور عدل ومن حريّة ثبتت أصولا
تصون حميّة وتقيتُ عزماً وتمسك بالكوارث ان تغولا
وأين (حكومة الفرد) استبدّتْ بإنسانية شَقِيَتْ طويلا
رحمت مآلها دنيا بدين تبوّأه الحجا ظلاًّ ظليلا
حمى الطرفينِ من عبّاد وهمٍ أخذتهمُ به أخذاً وبيلا
بفصل فى الجدَال وأىّ فصل تكمّ به النوابغ والفحُولا
وأبلغ منطق فترتْ لديه قوى الافهام حامرة ُذهولا
بعين تستشف الغيب لونا وقلب لا يقرّ المستحيلا
هو الإيمان لا تعشو اليه أباطيل تحاول أن تهولا
هو التوحيد ساغته عقول تهيء موطن (الشعرى) نزولا
هو الدين الحنيف به حيينا حياة الطهر لا نبغى بديلا
فكان أماننا فى كل طور إذا خفنا من الاحداث غولا

***

تلقينا الرسالة عن رسول فصدّقنا الرسالة والرسولا
رسول تسامح ورسول حقّ أبت علياهما أن تستحيلا
نطالع فى ارادته مضاءً دعا الأفلاك فاقتربتْ مثولا
وان قويت إرادة ذى مضاءٍ أقال الحادثات وما أقيلا

مرسى شاكر الطنطاوى

الديموقراطية فى الاسلام

وعند الغربيين

(بقية المقال المنشور بالمجلد الثانى)

لم يكن هذا النظام فى حقيقة الأمر ديموقراطيا صحيحا ولكنه مع ذلك كان يشتمل على بعض عناصر الحكم الديموقراطى اذ أن الشعب بما فيه الطبقة الفقيرة المعروفة عند الرومان باسم « plebes » استطاع أن يحصل على كثير من الحقوق السياسية كالمساواة أمام القانون وحق الانتخاب وحق التوظف فى وظائف الدولة ولذا فقد أصبح لعامة الشعب ممثلين فى المجالس النيابية يتكلمون باسمه ويطالبون بحقوقه. ولكن من ناحية أخرى نجد أن الرومان لم يكن لديهم الانتخاب العام الذى يعتبر الشرط الأساسى للحكومة الديموقراطية. فقد كان الانتخاب بواسطة الجماعات أو الدوائر أو بواسطة أقسام من رجال الجيش يتكون كل قسم منها من مائة جندى. لم يملك الرومانى اذن الانتخاب الحر الفردى مطلقا وانما كان ينتخب فى هيئة أو فى جماعة. ثم أن الأكثرية فى المجالس النيابية كانت فى اغلب الاحيان من الطبقة الارستوقراطية أما الممثلون للطبقات الفقيرة فقد كان عددهم محدودا للغاية بل لم يكن لهم وجود فى بعض الأحيان. إذ أن الشعب كان يقسم من حيث الثروة الى أقسام وكان يبدأ بالانتخاب فى الطبقات الغنية ثم ينتقل منها الى الطبقات المتوسطة وأخيرا الى الطبقات الفقيرة.

ولما كان عدد النواب محدودا فقد كان يحدث ان يوقف الانتخاب قبل أن يصل الى الطبقات الفقيرة وذلك حين يكمل عدد الممثلين. ثم انه فوق كل ذلك كان يوجد هناك ما يسمى بمجلس الشيوخ ينتخب أعضاؤه من كبار الطبقة

الارستقراطية الذين سبق لهم ممارسة الادارة اما من الناحية السياسية واما من الناحية القضائية واما من الناحية الحربية . من ذلك نرى أن حظ الطبقات الفقيرة فى نظام الحكم الجمهورى كان اسميا لا فعليا وضئيلا الى حد بعيد .

وفى سنة ١٣٣ ق . م . نشأت الامبراطورية الرومانية التى قضت على ما بقى فى الوجود من عناصر لنظام الحكم الديموقراطى .

واذا انتقلنا الى العصور الوسطى فاننا لا نجد أثرا للحكم الديموقراطى عند دول الغرب ولكننا نرى لديهم ظاهرة جديدة إذ انهم اصبحوا يستعملون لفظ الديمواقرطية ويريدون منه معنى غير ما كان يفهم منه عند القدماء الذين وضعوا وطبقوا هذا الاصطلاح .

فاذا استعمل هذا اللفظ عند الكتاب فانما كان يراد منه معنى عام غامض إذ أنه كان يعبر فى الجملة عما تطمح اليه نفس الشعب فكانوا يتكلمون عن الفن الديموقراطى اى ماله صلة بالشعب وعن الأدب الديموقراطى أى ما يعبر عن عواطف الشعب واحساساته وكذلك كانوا يدرسون الصلة بين الديموقراطية والاخلاق .

أما من الناحية السياسية فقد كان يراد من الحكومة الديموقراطية ان تهيء الفرصة فتعطى لكل المواطنين المساواة فى الحقوق السياسية بدون تفكير فى اقامة حكومة من الشعب بنفس الشعب . فلم يكن يقصد اذن بالديموقراطية حكومة ديموقراطية وانما حالة اجتماعية .

اما فى العصور الحديثة عند الغربيين ايضا فقد وجدت صور متعددة من انظمة الحكم، والغريب ان كل دولة أوكل حكومة تدعى لنفسها النظام الديموقراطى، فالملكية الدستورية . كما فى السويد وفى انجلترا تنسب نفسها الى النظام الديموقراطى، والجمهورية كما فى فرنسا وفى الولايات المتحدة تدعى لنفسها الحكم الديموقراطى، والديموقراطية الشعبية كما فى روسيا تضفى على نفسها صفة الحكومة الديموقراطية الصحيحة ، والفيديرالية كما فى سويسرا تلقب نفسها بالحكومة الديموقراطية .

ونحن امام هذا الخلط والاضطراب لا نستطيع ان نقر هؤلاء ولا اولئك فى زعمهم وذلك بعد دراسة ومعرفة نظام الحكم الديموقراطى بمعناه الصحيح . وانما يمكن ان نقرر مطمئنين انه حتى الوقت الحاضر لم توجد من كل هذه الحكومات الحكومة الديموقراطية بمعناها الحق ، ولكنها فى طريق تكوين النظام الديموقراطى . ولعل اقرب الدول الحديثة الى هذا المعنى هى سويسرا .

والآن فلننظر الى نظام الحكم فى الاسلام والى مبلغ حظه من الديموقراطية ونحب ان نبين اولا انه ليس من هدفنا ان نعرض لنظام الحكم عند المسلمين فى مراحله المختلفة فقد دخل فيه من التغيير والتبديل ما جعله يتخذ صورا متعددة واشكالا متباينة ، فمرة يعود بنا الى الحكم الاوتوقراطى ، واخرى يرجعنا الى الحكم الارستوقراطى ، وطورا يمثل الحكم الديموقراطى الى حد ما ، وآخر يكون مزيجا من انظمة مختلفة تمليها الظروف والملابسات . وانما نعرض لنظام الحكم فى عهده الاول اى فى عهد الخلفاء الراشدين وذلك فى الفترة الواقعة بين عامى ١١ و ٤٠ هجرية حيث كان الناس اشد تأثرا بالروح الاسلامية ، واكثر انقيادا وملاءمة لطابع النظام الجديد ، وابعد ما يكونون عن روح العصبية الجاهلية وعن التأثر بأنظمة الحكم المعاصرة اذ ذاك كالحكم الملكى فى فارس والحكم الامبراطورى فى الدولة الرومانية الشرقية وملحقاتها .

ومن ذلك نرى ان نظام الحكم فى الاسلام اثناء هذه الفترة المحدودة من الزمن لم يكن جريا على المألوف عند العرب فى الجاهلية كما ذهب الى ذلك بعض المؤرخين ، وكذلك لم يستمد اسسه من النظامين اللذين يكتنفان الدولة العربية فى ذلك الحين وهما نظام الحكم عند الفرس فى الشرق ، ونظام الحكم عند الروم فى الغرب .

كان نظام الحكم اذن خلال الثلاثين عاما الاولى يمثل الروح الاسلامية الخالصة اصدق تمثيل ولكنه مع ذلك لم يكن ضروريا ولا ملزما اذ ان القرآن لم يفرض على الناس نوعا خاصا من الحكومة ولم تشر تعاليم الرسول كذلك الى اتباع نظام خاص من نظم الحكم . وكل ما ورد فى الآثار الاسلامية مخالفا لهذا المبدأ لا يعدو ان يكون تأويلا لنصوص عامة او تبريرا لموقف حزب من

الاحزاب أو زعيم من الزعماء ، او انتحالا على الرسول وعلى تعاليم الدين. وليس ادل على ذلك من هذا التعارض الواضح فى هذه التأويلات او فى تلك المواقف بين المتنافسين .

كان نظام الحكم فى الاسلام غاية فى البساطة : اذ بعد ان يتم تعيين الخليفة تتركز فى يده كل انواع السلطة فى الدولة اما الشعب فقد اصبح مفروضا عليه أن يطيع اوامر الخليفة طالما كانت موافقة لمبادىء الاسلام وتعاليم الدين . فللخليفة ان يعين القضاة وله ان يعين الولاة ، وله كذلك أن يعين القواد . ومن ظواهر هذا النظام ايضا ان انتخاب الخليفة أو تعيينه كان ايذانا له بالبقاء فى الحكم حتى الموت فلم يعرف عند الخلفاء انتخاب مؤقت او محدود بزمن .

ولقد كان بجانب الخليفة مجلس يشبه الى حد ما مجلس الشيوخ يضم كبار الصحابة وأهل الرأى فى الاسلام يستشيرهم الخليفة فيما جل من امور الدولة . وكان هؤلاء الشيوخ يجتمعون فى مسجد المدينة من وقت لآخر لابداء الرأى . ولكن اختيار هؤلاء الشيوخ لم يكن عن طريق الاقتراع او الانتخاب بل كان الى حد كبير بناء عن رأى الخليفة نفسه فيهم . وعن سمعتهم الطيبة وسيرتهم الحسنة بين الناس . وكان ذلك خير كفيل لصلاحهم فيما يؤتمن عليه ، ولرعاية مصلحة الشعب فيما يبدونه من آراء .

ولم تكن طريقة تولى الخلافة قائمة كذلك على أسس ثابتة او على قواعد مقررة ، بل كان الرائد الأول فيها هو اختيار الأصلح بالنسبة لتنفيذ قوانين الاسلام والاشراف على مصالح الدولة ، وتحقيق العدالة والمساواة بين الأفراد ؛ ولقد كان فى هذا ضمان أكيد لأسمى الغايات التى ترمى إليها النظم الحكومية ، وهذا النظام يكاد ينطبق تماما على ما قرره سولون المشرع اليونانى العظيم ، اذ يرى ان الأنظمة الحكومية يجب ان توافق الضروريات والمنافع العامة والأخلاق، وذلك وفق كل عصر . وكذلك يرى ان ليست فى انظمة الحكم حقيقة مقررة ثابتة وإنما هى مبادىء قابلة للتغيير والتبديل ، وهكذا كانت طريقة اختيار الخليفة ، فكل من الخلفاء الراشدين الأربعة ، قد ولى بطريقة تخالف تعيين الآخر : اذ انه بعد ان انتقل

الرسول ﷺ إلى جوار ربه ، وقع التنافس بين الأوس والخزرج من ناحية ، ثم بين المهاجرين والأنصار من ناحية أخرى ، على من يتولى امر المسلمين بعد محمد صلوات الله عليه ، وهناك فى سقيفة بنى ساعدة اجتمع رؤساء الحزبين المتنافسين وقام كل يدلى بحجته ويذكر مبرراته فى تولى الخلافة وكاد الأمر ينتهى بالفتنة والتفرقة لولا ان نهض عمر وبايع ابا بكر بالخلافة ثم تبعه الأنصار بالمبايعة وكانت هذه هى البيعة الصغرى التى حسمت النزاع بين المتنافسين ثم اعقبتها البيعة الكبرى فى مسجد المدينة .

أما خلافة عمر فتمت بتعيين أبى بكر له ، اذ انه قبل الوفاة استشار نخبة من أصحابه فيمن يصلح للخلافة من بعده ، فأجمعوا على عمر ، فعينه ابو بكر وأعلن ذلك للمسلمين .

وإذا انتقلنا إلى خلافة عثمان رأينا طريقة اخرى غير الطريقتين المتقدمتين اذ انه بعد ان طعن عمر دخل عليه نفر من الصحابة وطلبوا منه أن يستخلف رجلا أو يعهد بعهد فأوصاهم بأن يكون الخليفة من بين ستة هم : على بن ابى طالب وعثمان بن عفان ، وسعد بن ابى وقاص وعبد الرحمن بن عوف والزبير بن العوام وطلحة بن عبيد الله ، ثم أضاف إلى هذا العدد ابنه عبد الله بن عمر لا ليكون خليفة ولكن ليؤخذ رأيه فقط فى اختيار الخليفة ، واليكم ماقاله عمر للمقداد ابن الأسود كما يرويه الطبرى ج ٥ ص ٣٤ — ٣٥ : « اذا وضعتمونى فى حفرتى فاجمع هؤلاء الرهط فى بيت حتى يختاروا رجلا منهم وقال لصهيب : صل بالناس ثلاثة ايام ، وأدخلْ علياً وعثمان والزبير وسعداً وعبد الرحمن بن عوف وطلحة ان قدم وأحضر عبد الله بن عمر ولا شىء له من الأمر وقم على رءوسهم فان اجتمع خمسه ورضوا رجلا وأبى واحد فاشدخ رأسه بالسيف ، وان اتفق اربعة فرضوا رجلا منهم وأبى اثنان فاضرب رأسيهما فان رضى ثلاثة رجلا منهم وثلاثة رجلا منهم فحكموا عبد الله بن عمر فأى الفريقين حكم فيختاروا رجلا منهم ، فان لم يرضوا بحكم عبد الله بن عمر فكونوا مع الذين فيهم عبد الرحمن بن عوف واقتلوا الباقين ان رغبوا عما اجتمع عليه الناس » .

وحينما نفذ هذا العهد انتخب عثمان بن عفان ، وأهم ما يلفت النظر فى هذا العهد هو ذلك المبدأ الجديد الذى لم يتقرر فى اى نظام من نظم الحكم التى تكلمنا عليها ، ذلك هو امر عمر بن الخطاب بأن تشدخ رأس كل من يخرج على رأى الأكثرية ولا يرضى بحكمها .

هذا المبدأ الذى يبدو لأول وهلة شديد القسوة عنيفاً يدل فى حقيقة الأمر على بعد فى النظر، ونفاذ فى البصيرة وحكمة فى السياسة وخبرة دقيقة بجلائل الأمور. فقد يكون فى قتل الرجل او الرجلين حقن لدماء آلاف من الناس ولقد جاءت الحوادث فيما بعد مؤيدة لصحة هذا المبدأ.

أما خلافة على بن ابى طالب ، فقد تمت بواسطة اختيار أكثرية الصحابة المقيمين فى المدينة بالرغم من فرار كثير منهم إلى الأمصار ، وبالرغم من تخلف الولاة والمشايعين لبنى امية .

بعد هذا العرض السريع لنظام الحكم فى الاسلام ، وكذلك لأنظمة الحكم الديموقراطية كما يعرفها اصحابها ، نستطيع ان نقرر فى صراحة وفى كثير من التقدير والاجلال ان نظام الحكم فى الاسلام لم يكن من الناحية الشكلية او النظرية نظاما ديموقراطيا ، ولكنه من الناحية العملية هو افضل انظمة الحكم على اختلافها فقد حقق للانسانية ما لم تحققه انظمة الحكم الديموقراطية عند اصحابها ، ويعتبر نظام الحكم فى الاسلام نظاما جديداً من نوعه ، قد اوحت به روح الاسلام وأملته مبادئه القويمة ولعله اقرب شبهاً إلى الحكم الجمهورى كما يعرفه علماء السياسة ، ولن يضير الاسلام مطلقاً ان يتجرد نظام الحكم فيه من الناحية الشكلية عن انظمة الحكم الديموقراطى ما دام فى روحه وفى مبادئه وفى عمله هو النظام الديموقراطى الصحيح ولننظر الآن ماذا حققه للانسانية نظام الحكم فى الاسلام . وهنا لا نستطيع ان نتكلم على كل المبادىء التى قررها الاسلام ولكننا نتعرض فقط إلى رءوس المسائل الهامة التى كانت مثار نزاع مستمر عند اليونان لنرى كيف واجهها الاسلام وكيف استطاع ان يضع لها القواعد الحكيمة الناجحة .

لقد كان من أهم المبادىء الديموقراطية عند اليونان وضع أساس أو محاولة

وضع أساس للمساواة فى الملكية عند أفراد الشعب وقد رأينا كيف كان هذا المبدأ الصخرة التى تتحطم عليها أنظمة الحكم الديموقراطى ، والأمر الذى تتباين فيه آراء المشرعين وقد رأينا كذلك كيف فشلت الديموقراطيات فى وضع أساس ثابت لهذا المبدأ وكيف قامت من جراء ذلك أعنف الثورات ، فماذا صنع الإسلام حيال هذا المبدأ الخطير ؟

لقد حل الإسلام هذه النظرية المشكلة حلا جمع بين الحكمة والبساطة فى وقت واحد فوضع مبدأ الزكاة على اختلاف أنواعها ، وهو فى هذا لم يجحف بالأغنياء حين فرض عليهم أداء جزء من أموالهم لبيت المال أو للفقراء ، وقد أرضى كذلك الفقراء حين جعل لهم حقا مقدرا فى ثروة الأغنياء ، ولقد نجح الإسلام فى هذا المبدأ نجاحا لم يتحقق لأى نظام ديمقراطى آخر إذ به حفظت ثروة الأغنياء ، وروعيت منفعة الفقراء ، وحقنت بين هؤلاء وأولئك الدماء .

ومن المبادىء الخطيرة المقررة كذلك فى نظام الحكم الديموقراطى عند اليونان مبدأ المساواة بين الأفراد فى الحقوق السياسية وأمام القانون ، لقد طبق هذا المبدأ حقيقة عند اليونان ولكن على من ؟ على المواطنين الأحرار فقط ، أما الأجانب والأرقاء فلم يكن لهم فى حساب الدولة او القانون اى اعتبار ، ثم ان ضعة الرق كانت تلازم هؤلاء البؤساء هى او نتائجها طول الحياة .

وهنا ايضا ماذا صنع الاسلام ؟

لقد سوى بين الناس على اختلافهم ، فنظر اليهم نظرة انسانية لا طائفية او جنسية فلم يفرق بين الأبيض والأسود ، ولا بين البدوى والمتحضر ، ولا بين الحاكم والمحكوم ، ولا بين الغنى والفقير ولا بين الشريف والوضيع ؛ كما لم يفرق كذلك بين المسلمين وبين اليهود والنصارى ما داموا فى سلم معهم ، ولعل أهم مثل يضرب لتحقيق المساواة بين الأفراد ، بصرف النظر عن اى اعتبار آخر هو ما حدث لجبلة بن الأيهم ، فيروى انه جاء حاجا الى مكة وبينما هو يطوف بالبيت الحرام إذ بأعرابى وطىء رداءه بقدمه اثناء الطواف ، فغضب لذلك جبلة ونهر الأعرابى ولطمه على وجهه فذهب الأعرابى يشكو إلى الخليفة عمر وقضى الخليفة

للأعرابى بأن يصفع جبلة مثل ماصفعه ولم يمنع جبلة عزه وسلطانه ولا مكانته من قومه وهو ملك الغساسنة من ان يقف من الأعرابى البسيط موقف المساواة ، ولما لم يجد جبلة بدا من ذلك تنصر وترك الاسلام : دين المساواة .

ويروى ان احد الشعراء ولعله حسان بن ثابت قال فى هذا الحادث قصيدة منها :

تنصرت الاشراف من اجل لطمة وما كان فيها لو صبرت لها ضرر

أما الرق فقد اعتبره الاسلام صفة عارضة يعود الى صاحبها كل ما للأحرار من حقوق بعد زوالها ، ثم ان الاسلام فى حال قيام هذه الصفة قد سوى بين الرقيق وبين مواليهم فى الطعام وفى الشراب وفى اللباس وفى التعليم وفى معظم الحقوق المدنية ، اللهم إلا فى الرئاسة ثم انه فوق ذلك قد حث المسلمين على مساعدة الارقاء لاسترداد حريتهم .

وهذه الروح الانسانية فى المساواة ، تتجلى بوضوح فيما صنعه الرسول مع اسامة بن زيد بن حارثة ، وهو مولى حديث السن إذ ولاه على جيش المسلمين وفيه وجوه الصحابة وأكابرهم .

ثم فيما صنعه ايضاً مع مولاه زيد بن حارثة إذ زوجه زينب بنت جحش ابنة عمته ، وأخيرا قدتزوج بها الرسول بعد ان كانت زوجة احد مواليه ، وفى ذلك نزلت الآية الكريمة « فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها لكيلا يكون على المؤمنين حرج فى أزواج أدعيائهم » .

هذه الأمثلة وكثير غيرها تدل على مبلغ فهم الاسلام للمساواة وعلى مبلغ حرصه على العمل بها .

هذه الأمثلة وكثير غيرها تقدم لنا نوعا جديدا من انظمة الحكم الديموقراطى لم تعرفه الانسانية من قبل ولم تأت بخير منه حتى الآن .

هذه الأمثلة وكثير غيرها ترينا فى روعة وجلال إلى اى حد كان الاسلام اصيلا فى مبادئه ، عاما فى قوانينه ، واضعاً نصب عينيه : انه يشرع للانسانية كلها لا لشعب خاص ولا لبيئة محدودة معينة .

الدكتور حسين عودة

حظ القانون المدنى

من الشريعة الاسلامية

كان القانون المدنى الأهلى الذى صدر سنة ١٨٨٣ بحاجة إلى التعديل فى كثير من أحكامه ، وذلك بسبب الظروف التى وضع فيها ذلك القانون ، فقد كلف أحد المحامين الفرنسيين وضعه فاقتبس معظمه من القانون الفرنسى ، واستمد بعض أحكامه من الشريعة الاسلامية ، ولكنه نقلها محرفة ، من ذلك مسألة بيع المريض مرض الموت فإنه يعتبر وصية فيعامل معاملتها ويصح فيما لا يزيد عن ثلث ماله ، وكان القانون القديم يعتبر الثلث وقت البيع لا حين الوفاة (١) وقد نصت على ذلك المادة ٢٥٦ « فاذا زادت قيمة المبيع على ثلث مال البائع وقت البيع ألزم المشترى بناء على طلب الورثة إما بفسخ البيع أو بأن يدفع للتركة ما نقص من ثلثى مال المتوفى وقت البيع » .

لذا كان تعدد المصادر إلى جانب الخطأ فى نقل الأحكام مصدراً للاضطراب ، وعاملا من عوامل عدم الاستقرار ، وحار القضاء فى الأحكام المستمدة من الشريعة . . هل يطبقها كما هى أم يطبق الأحكام الشرعية .

هذا إلى جانب مالاحظته لجنة الشئون التشريعية بمجلس النواب من حاجة القانون إلى التنقيح الشامل « لأن قانوننا المدنى لم يعد يجارى تقدم العمران فى مختلف نواحيه ، واتساع المعاملات بين الناس ، لذلك ازداد قصوراً فوق قصور عن مسايرة مقتضيات العصر الحاضر ، وأصبح رجل القانون يسبح فى بحر خضم من

(١) مرشد الحيران ـ قدري باشا ـ م ٣٦٧ « اذا باع المريض فى مرض موته لغير الوارث بغبن فاحش نقصاً فى الثمن فهو محاباة تعتبر من ثلث ماله فان خرجت من ثلث ماله بعد الدين بان كان الثلث يفي بها لزم البيع وان كان الثلث لا يفى بها بأن زادت عليه يخير المشترى بين ان يدفع للورثة الزائد على الثلث لا كمال ما نقص من الثلثين او يفسخ البيع »

نصوص غامضة وأحكام قضائية مضطرد بعضها، متنافر بعضها الآخر، متفقة أحياناً متجافية أحياناً أخرى » ولهذا أصبحت الحاجة ملحة إلى وضع قانون جديد ليسد النقص وليثير السبيل أمام رجال القانون تفادياً لهذا الاضطراب وهذه الفوضى .

وقد تقدمت الحكومة بمشروع القانون فى بسلام فى مجلس النواب ، ولما وصل المشروع مجلس الشيوخ قام خلاف بين أعضاء اللجنة التشريعية حول حاجة القانون إلى التنقيح الشامل ، وذلك بوضع تشريع جديد أو تكملة النقص فى القانون الملغى وإصلاح الأخطاء . . وأخيراً استقر الرأى على ضرورة التعديل الشامل وقد استند المشرع إلى المصادر الأربع الآتية .

١ — القانون المدنى السابق .

٢ — أحكام القضاء المصرى وهى تعتبر مصدرا لمعظم الأحكام الجديدة التى أتى بها القانون .

٣ — التشريعات المدنية الحديثة .

٤ — الشريعة الإسلامية .

ورغم ماكان يعاب على القانون السابق من حيث تعدد مصادره وما جره ذلك من سيئات أخذت على المشرع القديم ، وقع المشرع فى نفس الخطأ . وهذا ماسجلته المذكرة الايضاحية للقانون فقالت « من كل هذه التقنينات المختلفة النزعة المتباينة المناحى التى يبلغ عددها نحو عشرين تقنينا استمد المشروع ما اشتمل عليه من النصوص » فالمشرع يعترف بأنها مختلفة النزعة ، متباينة المناحى ، ثم يقتبس منها ، والدارس للقانون يصادف كثيرا من اوجه الاضطراب التى زادت بقدر زيادة مصادره .

وقد اراد المشرع ان ينفى ان يكون تعدد المصادر سببا للاضطراب فقال « والمشروع المعروض قد وفق فى التأليف بين القواعد التى استقاها من المصادر التى تقدمت الاشارة اليها ... » ولكن ليته نجح فى مهمته، وكان الأحرى بالمشرع الجديد ان يقتصد فى الآخذ عن الشرائع المتباينة حتى يكون منطقيا مع نفسه ،

منسقا فى احكامه ، وكان الأجدر به ان يعنى بالأخذ عن الشريعة الاسلامية وهى تشتمل على ثروة قانونية قيمة .

من اجل ذلك قام خلاف كبير بين اعضاء لجنة القانون المدنى ومن استعانت اللجنة برأيهم — حول الشريعة الاسلامية باعتبارها مصدراً للقانون الجديد — كما جاء فى المشروع — حتى يمكن الارتفاع بها إلى ما يلائم مكانتها اللائقة باعتبارها مصدرا خصبا للقانون .

وقد كان واضع المشروع (١) من اكبر المحبذين لفكرة الأخذ عن الشريعة الاسلامية ، وهو فى ذلك يقول بمحضر الجلسة المنعقدة ، فى يوم الثلاثاء اول يونيو سنة ١٩٤٨ ردا على احد الاعضاء (٢) وكان قد قدم نماذج لمواد مقتبسة من الشريعة « ولو كان صادق بك نجح فى هذه المحاولة لكنت بلا نزاع اول من يتفق معه لأنه لا يوجد شخص فى العالم ، يحب الشريعة الاسلامية ، كما احبها انا ؛ وقد ناديت ولا اقول انى اول واحد نادى بهذا » ثم قارن بين الأحكام التى اقتبسها صادق بك واحكام الشريعة وقال « فما قولكم فى ان نموذج صادق بك لم يات إلا باحكام القوانين الحديثة وهى بعيدة كل البعد عن احكام الشريعة الاسلامية ، ولكن إذا كان صادق بك لم يقتبس من الشريعة فلماذا لم يقتبس السنهورى باشا منها ؟ ! ما دام انه يحبها ولا يوجد شخص فى العالم يحبها كحبه لها ، الظاهر ان الجواب عند السنهورى باشا .

نقول هذا لأن الشريعة كمصدر للقانون تعتبر عنده فى مؤخرتها ، ويتضح ذلك من نص الفقرة الثانية من المادة الاولى التى تقول « فإذا لم يوجد نص تشريعى يمكن تطبيقه حكم القاضى بمقتضى العرف ، فإذا لم يوجد فبمقتضى مبادىء الشريعة الاسلامية ، فاذا لم يوجد فبمقتضى مبادىء القانون الطبيعى وقواعد العدالة » .

هذا هو الدور الضئيل الذى اراده المشرع للشريعة فى القانون الجديد . وهو لا يفيد الرجوع الى الشريعة فى الواقع ، لأن ذلك لا يكون متمشياً مع منطق

(١) السنهورى باشا . (٢) محمد صادق فهمى بك المستشار بالنقض .

تطبيق قانون وضعى ماخوذ من مصادر اجنبية ، ولتطبيق هذا النص يجب اولا الرجوع إلى القانون ، فاذا وجد به حكم طبق ، وان لم يوجد يُرجع إلى العرف ، والعرف هو مجموعة القواعد التى تنشأ من درج الناس عليها يتوارثونها جيلا عن جيل والتى لها جزاء قانونى كالقانون المسنون سواء بسواء ، فيشترط فى العرف ان يكون ملزما وهذا ما يميز العرف عن العادة ، ومن مقتضاه ان يقوم فى ذهن الناس وجوب اتباع ما جروا عليه معتقدين فى وجود جزاء قانونى له لأنه يكسب حقا يمكن المطالبة به ، اما عند الاصوليين فالعرف والعادة كلمتان مترادفتان ، والعرف اما ان يكون صحيحاً وهو ما لا يعارض دليلا شرعياً ولا يبطل واجباً ولا يحل محرماً ، كتعارف الناس تعجيل مقدار من المهر وتأجيل مقدار منه ، واما ان يكون فاسداً وهو ما يعارض دليلا شرعيا ويبطل الواجب او يحل المحرم كتعارف الناس التعامل بالربا ، والعرف سواء اكان صحيحاً ام فاسداً يجب على القاضى تطبيقه قبل ان يلجأ إلى الشريعة الاسلامية مع انه لو كان العرف مخالفا لنص صريح او ضمنى فى القانون ، فلا يصح تطبيقه ، اللهم إلا ان يكون العرف تجاريا فانه فى هذه الحالة فقط يلغى القانون ويتحتم على القاضى تطبيقه ، وإلا خضع لرقابة محكمة النقض بشرط الا يكون العـــرف التجارى متعلقاً بنص آمر يتصل بإحدى مصالح الدولة الاساسية .

من ذلك يتبين أنه حتى لو كان العرف مخالفاً للشريعة فهو أولى منها بالتطبيق فى نظر المشرع ، وقد كان الأحرى به أن يطبق حكم الشريعة قبل حكم العرف فى هذا المجال الضيق وهو حالة عدم وجود نص . على أن العرف الصحيح يعتبر دليلا من الأدلة الشرعية على الأحكام ويجب شرعا مراعاته فى التشريع وفى القضاء ؛ وهو عند التحقيق وفى الغالب من باب مراعاة المصلحة المرسلة ، لذلك قال بعض العلماء « المعروف عرفا كالمشروط شرطاً والثابت بالعرف كالثابت بالنص » .

هذا النص يظهر بوضوح مدى نظرة المشرع إلى الشريعة ، فهو يعتبرها فى المؤخرة بالنسبة لغيرها من المصادر ؛ إذ أنه يوجب الرجوع اليها فى حالة نادرة

إن لم تكن مستحيلة ، وهى حالة عدم وجود نص فى القانون أو عرف فى المسألة المعروضة على القاضى ، ولن يعدم القاضى ان يجد عرفا يحكم بمقتضاه .

والمسألة ليست مسألة افتراض ، فلو أن الشريعة كانت مصدراً هاماً للقانون لاهتم القاضى بها ، ولكن الغالب أن للقاضى — وهو مكلف بالحكم والا تعرض للجزاء — أن يتلمس عرفا يحكم به متأثراً فى ذلك بمسلك المشرع وروح القانون ؛ الأمر الذى أدى بمعالى الدكتور حامد زكى إلى القول فى اجتماع اللجنة بخصوص هذه المادة « أنا أقترح حذفها فمثلا نظرية البطلان أجد أثر البطلان فيما يتعلق بالنسبة للعاقدين ولا أجد أثره بالنسبة للغير والذى أعرفه أنه إذا كان عندى نص أطبقه بنصه وروحه أما مايتجاوز أثره كأثر البطلان فى الغير فإننى أتمم معلوماتى بالرجوع إلى النظام القانونى الذى نقلت عنه نظرية البطلان ، انما من المستحيل أن أذهب إلى الشريعة الاسلامية » ثم قال « ولذلك فانى أرى أن النص « Fantaisie » » أى كماليا ولا ضرورة له ،على أن هناك نصاً آخر اعتبره قيداً على المادة الأولى وهو نص المادة ١٤٨ الذى يقول :

١ — يجب تنفيذ العقد طبقا لما اشتمل عليه وبطريقة تتفق مع ما يوجبه حسن النية .

٢ — ولا يقتصر العقد على إلزام المتعاقد بما ورد فيه ولكن يتناول ما هو من مستلزماته وفقا للقانون والعرف والعدالة بحسب طبيعة الالتزام .

والذى يهمنا فى هذه المادة هو نص الفقرة الثانية ، فهى تفصل قول المشرع فى الفقرة الاولى « طبقا لما اشتمل عليه العقد » فتفصل مشتملات العقد بقولها ان العقد لا يقتصر على إلزام المتعاقد بما ورد فيه ، ولكن يشتمل ايضاً على مايعتبر من مستلزماته التى منها ماتنص عليه النصوص المفسرة او المكملة فالقانون يكمل العقد ، فلو ان بائعاً ومشترياً اتفقا على المبيع والثمن ، فيفترض انهما تركا تحديد باقى الشروط لنصوص القانون كمكان التسليم وضمان الاستحقاق .

هذه النصوص المكملة يخالف الكثير منها الشريعة ، من ذلك نص المادة ٢٢٦ التى تقول « إذا كان محل الالتزام مبلغا من النقود وكان معلوم المقدار وقت الطلب ، وتأخر المدين فى الوفاء به كان ملزما بأن يدفع للدائن على سبيل التعويض عن التأخير فوائد قدرها ٤٪ فى المسائل المدنية و ٥٪ فى المسائل التجارية ، وتسرى هذه الفوائد من تاريخ المطالبة القضائية بها، ان لم يحدد الاتفاق او العرف التجارى تاريخا آخر لسريانها ، وهذ كله ما لم ينص القانون على غيره » وهذا النص الذى يقر الربا يعتبر مكملا للعقد ، وعلى القاضى فى حالة عدم الاتفاق على الفوائد ان يطبقه ، إذ يفترض ان المتعاقدين ارادا تطبيقه ما لم يوجد اتفاق خاص ، والقاضى يكمل العقد بالرجوع إلى العرف ايضا ، والعرف يكمل القانون بانشاء حقوق جديدة كحق المؤلف فى وضع اسمه على مؤلفاته ، والعرف كما يكون موافقا لأحكام الشريعة قد يكون — كما رأينا مخالفا لها — وعلى القاضى — فى جميع الحالات تكملة العقد بالرجوع إلى العرف ان وجد — والقانون فى هذا المجال قدم قواعد العدالة واستبعد قواعد الشريعة، مع ان الدكتور السنهورى باشا يقول بأن هذه الأخيرة اكثر ايضاحا « فاذا كنت تريد ان تذهب إلى مبادىء العدالة والقانون الطبيعى ألا يحسن ان تذهب الى الشريعة قبل ان تذهب إلى مبادىء العدالة والقانون الطبيعى؛ والاولى ادق تحديداً واكثر انضباطا من الثانية » ويقصد بقواعد العدالة الشىء المناسب ، اى اعتبار الجوهر دون القصد ، وهى مجموعة القواعد الموجودة بجانب القانون الأصلى والمبنية على اساس مستقل ، والتى من شأنها ان تحل محل القانون بالنسبة لما لها من عظيم الأهمية والاحترام ، والقاضى عند ما يكمل العقد بالرجوع إلى قواعد العدل قد يتبع ما تقضى به الشرائع الاخرى وما عليه مجموع قانون بلده ، وقد قضت المحاكم غير مرة بالمحافظة على حقوق إعادة الطبع مستعينة باحكام القوانين الأوروبية ، وحكم بان رفت موظف

ولو كان موظفا مؤقتا يجب عدلا ان يسبقه تنبيه بذلك فى بحر مدة مناسبة ، فاذا ألزم المستخدم بالاستمرار فى العمل خلال المدة المذكورة بحيث ما كان يمكن ان يبحث فى اثنائها عن عمل آخر لا يقيد بهذا التنبيه .

ونحن لا ننكر الرجوع إلى قواعد العدل ، ولكن القاضى قد يعتبر ما هو ضرر نفعا وما هو ظلم عدلا ، خصوصا والقاضى لا يمكن ان يبنى حكمه دائما على الجزم واليقين الذى لا يتطرق اليه احتمال بل — على الغالب والراجح — يبنى حكمه على غلبة الظن ، لذلك فانا اعتبر هذا النص قيدا على النص الأول وحدا من الأخذ بالمبادىء الشرعية ، لاسيما إذا عرفنا ان العقد هو اهم مصادر الالتزام واكثرها اثرا فى معاملاتنا .

هذا عن مسلك المشرع ومن ناحية اخرى كان الواجب انه كلما رؤى وضع حكم فى القانون وكان له نظير فى الشريعة — وما اغناها بالأحكام — وفى غيرها من التقنينات وجب اعتبار الشريعة الاسلامية هى المصدر لهذا الحكم حتى تكون هى المرجع فى تفسيره وتطبيقه ، ولكن يظهر ان المشرع المصرى سار على العكس من هذا حيث اخذ عن التقنينات الأجنبية واعتبرها المصدر الأول للقانون، فان لم يوجد بها الحكم رجع إلى الشريعة الإسلامية بدليل وجود كثير من الأحكام التى نصت عليها الشريعة وسبقت سائر التشريعات فى الحكم بها ، ولكن المشرع يدّعى ان اصلها المانى أو سويسرى او ايطالى او برتغالى ، لأن مادة من مواد تلك القوانين نصت عليه .

هكذا كان عمل المشرع رغم انه كان فى ذهن اللجنة ان الشريعة الإسلامية ليست اقل من القوانين تنظيما للروابط المختلفة ، بل لها فضل السبق فى هذا المضمار ولقد نوّه بهذا الفضل الدكتور مَلش فقال « هناك مثلا كتاب أصدره احد اساتذة جامعة اكسفورد تحت رعاية هذه الجامعة اسماه « تراث الإسلام » ويقول هذا الاستاذ ان فضل الشريعة الإسلامية على القوانين الاوربية عظيم لدرجة اننا

اخذنا عن الشرع الإسلامى ، كثيراً من القوانين الخاصة بالمعاملات التجارية والشركات التجارية وفى مقدمتها ، النوع الذى نعتقد انه من الشريعة الإسلامية وهو شركات التوصية التى يسميها علماء الشريعة شركات القراض ، بل قال رئيس اللجنة ان لنا مصلحة فى هذا ، ونحن كمسلمين نقول ان الشريعة تشتمل على ثروة قانونية قيمة ، ومن الواضح ان الشريعة متغلغلة فى البيئة المصرية تغلغلا كبيرا

على أن المقرر أنه لايصار إلى المجاز إلا إذا تعذرت الحقيقة ـ والحقيقة هنا غير متعذرة .

(٢) إن النظر فى علم النجوم عبارة عن نظرات مع حسابات لابد منها . من بحث عن درجة ودقيقة البرج الطالع وقت السؤال وكذا باقى البروج الاثنى عشر . إلى وضعها مرتبة حسب تقويمها فى مستطيل مقسم إلى إثنى عشر قسما عدا وسطه الخالى . إلى ملاحظة الازدلاف فى البروج . إلى حساب دقيق لاطوال الكواكب السيارة . ثم وضعها فى البروج حسب أطوالها . إلى معرفة الكوكب الذى فى بيته أو شرفه أو احتراقه . ثم معرفة سلطان الطالع ونظره إلى باقى الكواكب من تثليث أو تربيع أو تسديس أو مقابلة أو مقارنة . إلى نظرة الصداقة والعداوة أو الرجوع والاستقامة إلى غير ذلك مما تدل عليه كتب المدخل التى ألفت لذلك وهذه النظرات والحسابات التى تستغرق الزمن الطويل لاتتفق مع قوله تعالى : « فنظر نظرة » أى مرة واحدة . وقوله فقال: «إنى سقيم» . فإن الفاء فيه تفيد أنه قال ذلك عقب نظرته الواحدة .

والمعنى الحقيقى الواضح :

(١) أنهم كانوا يحددون الأوقات بسير النجوم وكان إبراهيم عليه السلام يأتيه مرض فى وقت عهده بطلوع نجم أو ارتفاعه مثلا فكان ينظر فى النجوم نظرة واحدة ليرى هذا النجم فلما رآه تبين حدوث مرضه فأخبر أنه سيعاوده المرض .

(٢) تطلق النجوم لغة على الكلمات فيكون معنى نظرته فى النجوم تدبره فى كلمات قومه ـ يدل على ذلك قوله تعالى : « إذ قال لأبيه وقومه ماذا تعبدون

وقد حصل لنبينا محمد ﷺ مثل ذلك من قومه عند دعوتهم إلى الإسلام واليه الاشارة بقوله تعالى : « فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا » وهذان المعنيان ظاهران يقرهما كل منصف .

ثم أعود إلى ابطال دعوى المقومين المنجمين ، الذين يروّجون تقاويمهم بالطوالع زاعمين انهم ينبئون الناس بحوادث غيبية وهم فى ذلك مخالفون للشريعة والضمائر الحية .

وانى إذ اتكلم عن هـذا إنما اتكلم بلسان الشرع أولا ثم بلسان الحقيقة والواقع ثانيا .

الإبطال بالشرع

ان القرآن والسنة صريحان فى اختصاص المولى جل وعلا بعلم الغيب . عن زيد بن خالد رضى الله عنه انه قال صلى لنا رسول الله ﷺ الصبح بالحديبية فى إثر سماء كانت من الليل؛ فلما انصرف أقبل على الناس فقال هل تدرون ماذا قال ربكم قالوا الله ورسوله أعلم؛ قال قال — أصبح من عبادى مؤمن بى وكافر فأما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بى كافر بالكوكب، ومن قال مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بى مؤمن بالكوكب — كتاب تيسير الوصول إلى جامع الاصول من حديث الرسول ج ٤ ص ٢٨٥

فإن علم الغيب من صفات الله التى يجب على كل مؤمن ان يعتقد وحدته فيها فمن ادعاها لغيره أشرك وكفر . وقد تساهل بعض فجعل الكفر لمن يعتقد ان النجوم مؤثرة ؛ اما من اعتقد ان الله هو المدبر ولكن علق الحوادث على سير الكواكب واتخاذها أشكالا تتناسب والحوادث فلا يكفر .

وقد اخطأ فى هذا فانه وان حافظ على وحدانية الله فى الأفعال ولكن يلزمه الإشراك فى علم الغيب وهو صفة خاصة بالله تعالى — قال ﷺ (مفاتيح الغيب خمس ثم قرأ « إن الله عنده علم الساعة وينزّل الغيث ») إلى آخرها — كتاب التيسير ج ١ ص ١٦٥ وقال تعالى : « وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو — قل

لا يعلم من فى السموات والأرض الغيب إلا الله وما يشعرون أيان يبعثون » وروى عن قتادة قال خلق الله هذه النجوم لثلاث : جعلها زينة السماء ، ورجوما للشياطين ، وعلامات يُهتدى بها ، فمن تأول فيها غير هذا فقد اخطأ حظه وأضاع نصيبه وتكلف ما لا يعنيه وما لا علم له به ، وما عجز عن علمه الأنبياء والملائكة صلوات الله عليهم أجمعين . وعن الربيع مثله وزاد — والله ما جعل الله فى نجم حياة أحد ولا موته ولا رزقه إنما يفترون على الله الكذب ويتعللون بالنجوم — كتاب التيسير ج ٤ ص ٢٨٦ — بل قد أنكر الشارع على من يسأل هؤلاء وأمثالهم ويصدقهم . قال رسول الله ﷺ « من أتى عرافا فسأله عن شىء فصدقه لم تقبل له صلاة أربعين يوما » كتاب التيسير ج ٢ ص ١٦٨ — فلو جعل الله علم الغيب بأسباب ومقدمات كما يزعمون ما اختص به كما هو صريح الآيات والأحاديث — تعالى الله عما يقولون علواً كبيرا .

الإبطال بالحقيقة والواقع

لو ان هؤلاء الفلكيين يتقون ربهم ، ويخافون سوء الحساب ، لتركوا هذه الطوالع ، ولأخبروا بأنها اكاذيب جعلت لترويج التقاويم او لسلب اموال ضعفاء الايمان . ولكن قد طغت المادة على عقولهم فأعمى الله ابصارهم ، وختم على قلوبهم فاتخذوا الطوالع مغنما للمال ، وسبيلا إلى الجاه ، لدى الرؤساء والحكام فلا سبيل إلى معرفة حقيقة هذه الطوالع إلا من فلكى لم يتخذ الطوالع مرتزقا ولم يكن له فيها مطمع . وقليل ماهم .

وهأنا ذا أكشف سر الطوالع كشفاً وأفضحها فضحاً بعد أن خبرتها وعلمت أسرارها ، وما كان لى طمع فى مال أو جاه وإنما هى رغبة علمية وحب اطلاع . وقد حسبت تقويم الحرية سنة ١٣٣٧ هـ - ١٨ ر ١٩ م وقلت فى طالعها كما يقولون ، ولكن الحمد لله ماعدت إلى طبعه سنة ثانية وما ألبست الحق بالباطل يوما من الأيام ، بل وضحت ونصحت كما أوضح وأنصح الآن . ولا ينبئك مثل خبير .

إن هؤلاء الفلكيين يزعمون أنهم يستمدون طوالعهم من طريق التنجيم أو من طريق الزايرجه - وإنهم فى ذلك لكاذبون - بل هى تستمد من كتب تذكر أحكاما عامة. مثل كتاب الشعرى اليمانية. وكتاب أحكام أول السنة. ومثل الجفر - وهذه أحكام لا أساس لها فيصوغون هذه الخرافات ويضمون إليها من أنفسهم مايظهر فى جو السياسة مثلا ويضعونها فى قالب نثرى يختارونه ويرمزون بالأرقام أو غيرها لما لايعرفون. فتطبق الناس هذه الرموز على أى حادث بعد وقوعه. ويسمى هذا الطالع تنجيمياً - أو يضعونها فى قالب نظمى يكون من بحر الطويل قافية «لا» ويسمى هذا الطالع زايرجيا وهم يجهلون أبسط الأشياء ويهرفون بمالا يعرفون. وربما كان ذلك من عمل غيرهم.

إن الطالع التنجيمى يحتاج فى حسابه إلى ساعات ومع هذا لايصدق فى شىء إلا بطريق المصادفة والاتفاق - وهكذا إذا تكلمت بحوادث حسب ظنك ورأيك قد يصادف وقوع بعضها وما ذاك منك عن علم وإنما عن حدث وتخمين.

قد مكثت مع الأستاذ الشيخ أحمد الزرقاوى الفلكى الشهير مع صديق لنا نحسب الطوالع لسعر القطن نحو شهرين فما أصبنا إلا فى القليل النادر. وأكد لى الأستاذ الزرقاوى أنه كان يحسب الطوالع لتجار القطن على جعل ولم يمكث طويلا حتى جاءته برقيات منهم بالخسارة والسب فكان ذلك سبباً فى تركه الطوالع.

إن منشأ التنجيم أن الصابئة كانوا يعبدون الكواكب ويقولون إن الله خلق الكواكب وجعلها مدبرات لهذا العالم. قالوا فيجب علينا أن نعبد الكواكب وهذه الكواكب تعبد الله. وبعد مضى زمن غير قليل آمن بعضهم فقال: إن الكواكب تدل على الحوادث وليست مدبرة والمدبر هو الله تعالى وصاروا يأخذون لكل حادث مضى طالعاً حسابياً ليكون قاعدة للمستقبل - وهذه عقيدة فاسدة، وقياس باطل تعلم منها أن المنجمين أسسوا علمهم على شفا جرف هار فانهار بهم فى نار جهنم والله لايهدى القوم الظالمين - سبحان ربك رب العزة عما يصفون.

أما الطالع الزايرجى فهو كذلك كلام لا أساس له قد يصاغ على وزن بحر الطويل قافية لا نظما ولا شعراً تمويها على الناس وتضليلا . وقد اختاروا بحر الطويل قافية لا . لأن جميع الزيارج النظمية لابد أن يكون فى تكوينها ومقدماتها بيت من بحر الطويل قافية لا يسمونه القطب الوهبى وهو :

سؤالن عظيم الخلق خرت فصن إذا غرايب شك ضبطه الجد مثلا

وربما من أتى بهذا الطالع لايعرف شيئاً من قواعد الزايرجة - فلم يراقب رباً ولا ضميراً حياً - فإن زعم أنه من علمائها وأنه يأتى بالطوالع من قواعدها فلست بتاركه يعبث بعقول الناس حتى أبين حقيقه مايسمونه علم الزايرجة .

إن من استقصى طرق الزايرجة وفحصها فحصاً دقيقاً علم انها ترجع الى قسمين لا ثالث لها - مركزة - وهى التى الفت اجوبتها نثرا او نظما وعمرت جداول بحروفها بترتيب يختار لتلقط عند النطق كما وضعت - وهى فى الحقيقة كقرعة - ولكن هؤلاء المدلسين يعلنون أنها زايرجة ناطقة بما غاب وهم فى ذلك من الكاذبين - وغير مركزة - وهى على حسب استعداد وذكاء منشئها - فمهم من تكون عنده فطرة النظم بسرعة على بحر الطويل قافية لا - فيعطى لكل سؤال جوابا حسب الظروف وما استنتجه بعد مقدمات يغرر بها ويوهم انه يخرج الجواب من اسرار الزايرجة : -

ولقد حل بطنطا سنة ١٩١٩ م ايام ان كنت طالباً بمعهدها الدينى من اشتهر بالزايرجة النظمية فلازمته وكان من امره ان يعمر مربعا من جمل حروف السؤال والطالع والرابع والسابع والعاشر من البروج ثم نرى انه يلقط من المربع ويملى حروفا ويشير الى نصف البيت فاذا انتهى ركبت الحروف كلمات بدون تغيير او تقديم أو تأخير فتنطق كلاما نظما من بحر الطويل قافية لا موافقا للسؤال ما بين العشرين والخمسين والمائة بيت - فدهشت وكدت ان اوقن ان علم الزايرجة صحيح وزدت تعلقا بهذا الشيخ لعلى احظى بهذه الطريقة السريعة : -

غير انى طلبت منه طالعا لنفسى اختبارا . فحسبت وعمرت المربع حسب

عادته فأخذه وأملى على حروفا كانت فى نطقها خمسة عشر بيتا من بحر الطويل قافية لا كعادته فحافظت على المربع ومقدماته وبعد اسبوع كتبت الطالع وتركت منه ثلاثة ابيات متفرقة ثم عرضت المربع ومقدماته على هذا الشيخ وقلت ان ورقة الطالع سقطت وكنت احفظ ابياته غير انى نسيت ثلاثة منها هى الثالث والثامن والثالث عشر ورجوته ان يخرجها من المربع مرة ثانية . فبهت الذى كذب وصار يعتذر بما لا يقبله العقل . فعلمت ان له قدرة على النظم يستعملها فى النصب والتحايل وابتزاز اموال الناس بالباطل باسم الزايرجة . وبعضهم يجعل سر المهنة فى (المتحصلة) كزايرجة . كيف امر الرضا مع المأمون — ويسألونك عن الروح ؛ ويموه على الناس فى طريق استخراج المتحصلة .

وحقيقة المتحصلة . انها نفس الجواب بعد تبديل وترتيب وتغيير بحيث لو عكس العمل لأتى الجواب المختار المؤلف اولا .

وقد سار على هذه الطريقة الأستاذ المرحوم الشيخ احمد الزرقاوى الفلكى حينما قابل السنوسى ببلاد المغرب لأمر هام فكان يجعل المتحصلة بعد المقدمات ويأتى بالجواب حسب ما أراد موافقا للسؤال حتى اقتنع السنوسى معتقدا ان هذه الأجوبة عن طريق زايرجة صحيحة — والحقيقة انه كلام مختار اظهر بترتيب وتحول ودوران — وقد اسر الىَّ فضيلة الأستاذ الزرقاوى بهذا الحديث قبل وفاته وما اعلنته الآن الا للنصح وبيان الحقيقة .

وبعضهم يعتمد على اكثار الحروف لتكون منهلا له عند اخراج الجواب . فيشترط فى مقدمة الزايرجة ان تكون من اربعة اشياء :

(١) سؤال السائل بشرط ان يكون اربعة واربعين حرفا

(٢) القطب الوهبي وهو اربعة واربعون حرفا بنونات التنوين الأربع

(٣) الطالع والرابع والسابع والعاشر من البروج بشرط ان تكون حروفها اربعة واربعين

(٤) اسماء الله تختار مناسبة مع الزمام . بشرط ان تكون حروفها اربعة واربعين

فاذا لاحظنا ان القطب الوهى جعل شاملا لجميع الحروف الأبجدية . لايغيب عنه حرف منها بل يتكرر فيه بعضها ، وان حروف باقى المقدمة كثيرة ، وانهم اباحوا عند لفظ الجواب تبديل الحروف التى لا تنطق الكلمات معها بجملة من الحروف — اذا لاحظنا ذلك كله كان من السهل جدا تأليف جواب من هذه الأحرف الكثيرة — لأن الكلام الذى تتكلم به الناس طول حياتهم لا يخرج تركيبه عن الحروف الأبجدية .

وهذه الحروف التى اشتملت عليها المقدمة قد تكررت فيها الأبجدية .

اما سر اخراج كلام منظوم من بحر الطويل قافية لا . فيرجع الى اشتراطهم فى اللفظ. ان يكون السطر اربعين حرفا او اربعة واربعين او ستة واربعين ، لأن بحر الطويل لا يكون الا كذلك مع الزحاف والعلل غالبا .

واباحة تبديل الحرف الواحد بجملة احرف يسهل الإتيان بقافية لا آخر كل بيت :

والجواب الذى استخرج من الزيارج لا يدل على الوقوع لأنه من الممكن استخراج اجوبة متناقضة بنفس القاعدة .

فحقيقة الزايرجة طرق نصب وتحايل وتغرير وايهام . تحرمها الشريعة الغراء وتحرم الارتزاق منها وتكفر من يعتقد ان علم الغيب يكون بسببها .

ولولا انى اخشى من طلاب الزايرجة ان يتخذوا من البيان فوق هذا سبيلا الى تعليمهم وسيرهم حسب اهوائهم لأوضحت طرق هؤلاء الأفاكين الذين يزعمون ان الزايرجة تأتى بمستقبل الحوادث ، ولأعلنت كذبهم بالمثـــال والبرهان وهم صاغرون .

« ولله غيب السموات والأرض واليه يرجع الأمر كله فاعبده وتوكل عليه وما ربك بغافل عما تعملون » وفقنا الله الى النصح والارشاد واظهار ما يخفى على العباد ، وان يلهمنا فى اقوالنا وافعالنا السداد انه رءوف بالعباد ؟

احمد جابر

امام وخطيب وواعظ مسجد الشيخ سلامة بسمنود

الخطابة

المسجد موطن الهدى والعرفان

الخطبة التى أذاعها فضيلة الشيخ جاد المولى سليمان مفتش المساجد من مسجد فاروق الأول ببور سعيد بمناسبة افتتاحه يوم ٥ / ١ / ١٩٥١

نحمدك اللهم أنت أهل الثناء والحمد . سبحانك فضلت المساجد على سائر بقاع الأرض .

ونشهد أن لا إله إلا أنت وحدك لاشريك لك . جعلت عمارة المساجد علامة الإيمان والاهتداء ، ونشهد أن سيدنا محمدا عبدك ورسولك . أفضل الرسل وخاتم الانبياء .

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه الذين تعارفوا بروح الله وأخلصوا دينهم لله « أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون »

أما بعد فيا عباد الله : عنيت جميع الشرائع بأماكن عبادتها . فوفرت لها مكانتها . وصانت حرمتها وقداستها . لأنها مثابة التوحيد والإيمان ، وموطن الهدى والعرفان . والتوحيد هو الهدف الأسمى للرسالات السماوية ؛ إذ هو طريق الوحدة والوئام وسبيل المحبة والسلام .

من اجل ذلك عهد الله الى خليله ابراهيم وابنه اسماعيل عليهما السلام ، ان يرفعا قواعد البيت الحرام ، وامرهما ان يجنباه آثار الشرك ، ويطهراه للطائفين والعاكفين والركع السجود .

فرفعا قواعده قائلين (ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم)

فكان ذلك المسجد اول بيت وضع للناس مباركا وهدى للعالمين ، فيه آيات بينات مقام ابراهيم .

وما مقام ابراهيم الا ذلك المكان الذى قام عليه بانيا داعيا ينادى بالتوحيد .

وقد ظل هذا البيت مهوى الأفئدة المؤمنة ، والأرواح الطاهرة ، والنفوس الصافية ، وكعبة الناس يحجونه من كل فج عميق حتى اتسع العمران وانتشرت هداية الله فى ربوع الشام فأوحى الله الى سليمان عليه السلام ان يبنى المسجد الأقصى دعما للتوحيد الذى حرصت الرسالات على توطيد دعائمه وتثبيت قواعده ؛ فكان هذا المسجد مشكاة الهدى فى تلك البقاع المباركة ، والأرض المقدسة . فلما بعث المصطفى ﷺ بالرسالة العامة الخالدة ، وظهر امره شاء الله ان تكون رحلته ليلة الاسراء من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذى بارك الله حوله ليجمع له الحسنيين ويشهد ثانى الأثرين المباركين ثم هاجر ﷺ الى المدينة، فكان اول حصن اسسه ، واول صرح شيده ، المسجد النبوى الشريف ،المغمور بالنور والجلال ، والذى يشد المسلمون اليه الرحال ، فاتخذه معهدا يبلغ فيه وحى السماء ، ودارا للفتوى والقضاء ، ومجلسا للشورى وتبادل الآراء ، وديوانا لتحرير الكتب الى الملوك والأمراء ، ومأوى لاكرام اللاجئين والغرباء ، ومقرا لتنظيم كتائب المجاهدين ، وبيتا لمال المسلمين .

ولقد ادرك الفاروق عمر بن الخطاب بعبقريته ما للمسجد من اهمية فى المحيط الاسلامى بل وفى المحيط الاجتماعى فكان يوصى قواده الفاتحين وامراءه الحاكمين - ان يؤسسوا فى كل مصر مسجدا جامعا تحقيقا لتلك الأغراض السامية، ولم يؤسس دواوين القضاء والجيش والمال والبريد الا حين استبحرت الفتوحات وتنوعت مقتضيات الحكم وكثرت الغنائم والخراج فكان من تكريم بيوت الله

ان تجنب مالا يتفق مع قداستها من جدل وخصام ، ومتاع وحطام ليؤمها المسلمون متحابين مخلصين ، لا يبتغون فيها الا النور والرشاد ، والهدى والسداد .

وعلى هذا النهج سار الملوك والأمراء والحكام والولاة ، والأغنياء والسراة . فاهتموا ببناء المساجد وتشييدها ورصدوا عليها من الخيرات ما يكفل عمارتها ، ويحقق رسالتها ، لا يستكثرون فى سبيل ذلك نفقة ولا بذلا ، ولا يدخرون نفيسا ولا جزلا ، تقربا إلى الله ، وإعلاء لكلمة الله ، وإعزازا لدينه ، ونشرا لهديه .

وان نظرة عابرة إلى تلك الصروح الإسلامية التى تضرب مناراتها الفارعة فى كبد السماء ، ويرتفع من فوقها صوت الداعى إلى الله ، لتدل على ما لهؤلاء الخيرين من فضل ، وما سجله التاريخ لهم من ذكر ، وما ينتظرهم عند الله من أجر .

ولن ينسى التاريخ ما لجلالة الفاروق حفظه الله ، من جليل المآثر فى عمارة بيوت الله ، وما يبذله من رفد لصيانتها ؛ وما هذا المسجد الذى تقام فيه لأول مرة هذه الصلاة الجامعة ، إلا لفتة من اللفتات الملكية السامية ، تنفذها وزارة الأوقاف ، فقد أشار أيده الله بإنشائه وتفضل فأرسى بيده الكريمة حجر الأساس فى بنائه ، وتعطف فأوفد من وزراء حكومته الرشيدة وزير البر والخير لينوب اليوم عن جلالته فى افتتاحه .

وبهذا الهدى اقتدى رجالات هذا الثغر السعيد ، فأخذوا يتسابقون فى إنشاء المساجد مسارعة إلى الخيرات ، ومنافسة فى المبرات .

أيها المسلمون : كانت المساجد ولاتزال حصن التقى والإيمان ، ودور الهدى والعرفان ينهل من معينها ، الكبير والصغير ، والغنى والفقير ، فالناس فيها أمام الله سواء ، يستمتعون بما فيها من ثقافة كما يستمتعون بالماء والهواء ، ويستشرفون فى رحابها ضياء الإسلام وسناه ، ورحمة الله وهداه .

أيها المسلمون : ان للمساجد ماضيا مجيداً سجله التاريخ ، وأيده الواقع ، فقد حققت للمجتمع الخير والسعادة ، والأمن والسلامة ، والرشد والاستقامة ، وحببت إلى الناس التقى والإيمان ، والبر والإحسان ، وكرهت اليهم الفسوق والعصيان ، وأقامت من ضمائرهم رقيبا يحفزهم إلى الأمانة ، ويجنبهم الخيانة . فوفروا لها ماتستأهل من عناية ، وماتستحق من رعاية ، إبقاء على مالها من هيبة وقداسة ، لتمضى قدُما فى نشر دعوتها ، وتحقيق رسالتها ، فلن ينهض المسلمون الا بحضارة قوامها الدين ، ومعاهدها المساجد ، وثقافتها تعاليم القرآن ، وهدى الإسلَام .

ولو أننا أوليناها مزيدا من الرعاية لوفرنا كثيراً من الجهود والنفقات التى تبذل لصيانة الأمن ، واقامة العدل ، والقضاء على الخصومات ، ومحاربة المآثم والمنكرات ، وسيء الدعايات .

فاتقوا الله وحافظوا على تراث الإسلام فى معاهده ، وعظموا الله فى مساجده وأعطوها حقها من الاجلال ، ولاتضنوا فى سبيل تشييدها بجهد ولامال ، فهى بيوت الله الكبير المتعال . وأحيوها بالعلم والهدى ، واعمرُوها بالإيمان والتقى « إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش الا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين » .

روى البخارى ومسلم عن عثمان بن عفان رضى الله عنه ان الناس أكثروا فيه القول حين انفق مالا وفيراً فى تشييد مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أكثرتم علىَّ . وإنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « من بنى مسجداً يبتغى به وجه الله بنى الله له بيتا فى الجنة » وفى رواية « بنى الله له مثله فى الجنة » وروى مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

« ما اجتمع قوم فى بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم الانزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده »

مطبعة مخيمر

شارع فاروق — تليفون ٤٧١٩٣